روايات أحلام

جين لوغان

أرجوك أن ترحل

www.elromancia.com

١٥

مرمورية

روايات أحلام

www.efromeal.com

ارجوك ان ترحل ـ جين لوغان

كان الرجال يدعونها ملكة الثلج، لأنها كانت بعيدة المنال لا يمكن انتقادها. ولكن، من الداخل، كانت كاترين ويزدوم قابلة للعطب مثلها مثل اي انسان آخر، ورالف كوينتين كان الرجل الذي جعلها هكذا.

المؤلف القصصي الشاب كان قد حطم قلبها من قبل، واقسمت عندها، ان لا تحب من جديد.

وهذا القسم كان من السهل المحافظة عليه، الى يوم ان عاد، مصمماً على تحطيم قوقعتها الثلجية. سؤال واحد ارعب كاترين يومها! ماذا سيتحطم أولاً: قوقعتها... ام قلبها؟

تصدر عن دار الفراشة

١ ـ لماذا عاد؟

راقبت العينان البنفسجيتان الداكنتان صالة الرقص المزدحمة بضجر. صاحبة هاتين العينين كانت تتمنى أن تكون في أي مكان آخر ما عدا في إحدى اشهر حفلات الرقص التنكري التي يقيمها مجتمع «تشارلستون».

وتمتمت بضجر:

ـ إذا عزفت الفرقة هذا اللحن ثانية، سأشعر بالغثيان.

وتحركت مبتعدة عن قنطرة المدخل المزينة بالزهور وسارت حول باحة الرقص المزدحمة. وجهها، الذي يشبه نقشاً بديعاً على حجر كريم، كان خالياً من التعبير، لا ينمّ عن الأفكار التي تجول خلف ملامحه الجميلة. شعرها الأسود الداكن اللماع، كان مضموماً كعناقيد تنسدل إلى منتصف ظهرها، يتخلله شرائط حريرية زرقاء. ولاحقت عيون الرجال بفضول تحرك جسدها النحيل، في الثوب الأزرق الحريري، رغم ملاحظة تلك العيون البسمة الباردة، المصممة على إبعاد المعجبين عنها.

وتمتم أحد الرجال لآخر؛ بصوت مرتفع اكثر مما قصد:

ـ هذه كاترين ويزدوم، المعروفة بملكة الثلج. إنها باردة كالجليد، ولا يستطيع أي رجل الاقتراب منها دون أن يتجمد... وهي لا تستحق المحاولة..

وابتسمت موضوع حديثهما لنفسها. فاللقب لا يزعجها. فلولا ماغي، لما حصلت على وظيفة تحبها، وبالطبع لن تكون في هذا المكان الليلة. مارغريت هامبسون، سيدة مجتمع «تشارلستون» هي رئيسة لجنة حفلات الرقص، ولكنها لم تتمكن من الحضور بسبب الزكام. وكاترين، بصفتها سكرتيرتها الخاصة، حضرت بالنيابة عنها.

وتحركت كاترين بين الناس، دون أن تلاحظ زوجاً من العيون تراقبانها باهتمام. وتوقفت قرب طاولة صغيرة، غير منزعجة من أن أحداً لم يطلب مراقصتها حتى الآن. على كل الأحوال، وجودها هنا هو جزء من عملها، وهذا يشمل الوقوف لوحدها، بينما الباقي يرقص ويتمتع. ولكن، كانت هناك أمسية سحرية ذات مرة، كانت فيها كاترين واحد من الراقصين السعداء الضاحكين. وسارعت إلى خنق الفكرة في ذهنها قبل أن تتخذ شكلاً، وشعرت برجفة اضطراب عند مؤخرة عنقها سارعت لصرفها، وتابعت السير.

ولم يكن أمامها وقت لردة فعل، عندما أمسكت يدان بخصرها وجذبتاها إلى حلبة الرقص، بين ذراعين قويتين.

ـ أستميحك عذراً...

تعنيفها الثلجي أنقطع فجأة عندما واجهت العينين الذهبيتين اللتين تراقبانها، بمرح ساخر. وفي لحظات غادر اللون وجهها، قبل أن تستعيد رباطة جأشها. فهذا الرجل ليس من النوع الذي يمكن لزوج من العيون البنفسجية المتجمدة، وما يماثلهما من التصرف، أن يرداه عن مقصده. رجل طويل نحيل، شعره بلون الشبع الذهبي، وعيناه

عسليتان، مع ملامح القط البري. إنه من النوع الذي لا يتراجع أمام أحد، وهذا ما تعرفه كاترين جيداً، تماماً كما تعرف كيف يعمل عقله، منذ سبع سنوات. التفكير في الماضي كان كافياً لان يجعل عمودها الفقري يتصلب. وحاولت أن تنسحب من دائرة جاذبية شريكها، ولكنه شدّ من قبضته عليها، وجذبها أكثر إلى قربه. فقالت بغضب:

ـ دعني يا رالف.

ـ أنا سعيد لأنك تذكرتي اسمي.

ـ أنا لست مهتمة بالرقص معك.

ولم تلاحظ صدمة الجميع لرؤيتهما يتحركان معاً بتناغم فوق باحة الرقص على أنغام موسيقى «الدانوب الأزق».

ـ مهلك، مهلك، شتراوس سوف يتألم إذا لم نستفد من موسيقاه الرائعة. سأسمح لك حتى بأن تدوسي على قدميّ لتنتقمي من الرجال الذين من دون شك داسوا على قدمك بعد أن صُدموا بجمالك البارد.

ـ وماذا أتى بك إلى تشارلستون سيد كوينتين؟ العمل؟ أم لقضاء عطلة؟

ـ توقفي عن التمثيل يا كاتي... أعرف عنك أفضل من هذا.

ولم ترغب كاترين سوى بأن تبتعد عن هذا الرجل.. سبع سنوات... سبع سنوات! لماذا عاد؟ ولماذا يجب أن تراه للمرة الأولى بعد عودته إلى هنا؟ وأخذت تدرس وجه شريكها من بين رموشها، كان عطر ما بعد الحلاقة الخفيف برائحة المسك يداعب أنفها، تماماً كما لمسة بشرته الرجولية. ومع أن رالف كان يمسك بها بشكل لائق.. ليس قريباً جداً، ولا بعيداً جداً، إلا أنها كانت تشعر بدفء الأصابع النحيلة المحيطة بيدها، وباليد القوية التي ترتاح على ظهرها.. وعلّق رالف بخفة:

ـ لا أحد يمكن أن يتهمك بأنك ثرثارة.

ـ ليس بيننا ما نقوله.

وما كادت الكلمات تخرج من شفتيها حتى لاحظت أنه يقودها نحو الأبواب الزجاجية التي تقود إلى الخارج.

ـ ماذا تفعل؟

ولكنه لم يجب إلى أن أصبحا على الشرفة. الالتماع الساخر في عينيه كان مخيفاً قليلاً. وأبعد يديها عن جانبيها ولوى رأسه الى جانب واحد وهو يتفرس بها بشكل كامل ومثير. وقال بهدوء:

ـ لقد كبرت الآن يا كاتي.

ـ لا تناديني بهذا الاسم السخيف! لماذا أخرجتني إلى هنا؟

ـ لأرى إذا كان ضوء القمر يذيب بعض الثلج الذي يبدو أنك قد حبست نفسك فيه.

كيف يمكن لصوت ناعم لرجل أن يكون خطراً هكذا؟

ـ هناك الكثير من النساء الجميلات في الداخل ممن أنا واثقة أنهن سيكن سعيدات لاهتمامك بهن. لماذا لا تعود إلى الداخل وتجد لك واحدة منهن؟

ـ أنت لم تتغيري يا كاتي.. لقد كدت أنسى كم أنت جميلة.

ـ توقف عن هذا يا رالف.

ـ كذلك أصبحت باردة خلال السبع سنوات الفائتة.

ورفع يدها ليطبع قبلة خفيفة عليها، تاركاً إحساساً دافئاً ومدغدغاً على بشرتها.

ـ دعني أذهب.

وتركها دون جدال. واتكأ على الحاجز الحديدي، وأخذ وقته وهو يتفرس بالمنظر الذي أمامه، وبدت بثوبها القديم الطراز، وكأنها خرجت من كتاب تاريخ. الفتاة الجميلة التي يتذكرها قد نضجت الآن لتصبح امرأة جميلة تخطف أنفاس أي رجل. ورفع يده ليمررها على

وجهها، فأجفلت من لمسته، وتراجعت وكأنها ضربة، وقال رالف بصوت خافت، مع إبقائه للهجته هادئة:

ـ لقد جرحتني يا كاترين.. لقد كنا نعني الكثير لبعضنا، ألا تستطيعين أن تقولي إنك اشتقتي لي طوال هذه السنوات؟

ـ أوه.. وهل كنت غائباً؟

ـ لنتناول العشاء معاً في الغد، ونتحدث عن الأيام الماضية.

ـ لا..

ـ الامسية التالية إذاً.

ـ لا.. وأنت مجنون لو فكرت بأنني قد أفكر برؤيتك. فلدي أشياء هم لتمضية وقتي.

وبابتسامة ساخرة، رفع أصابعه وضغط اصبعين على رقبتها.

ـ نبضك يتسارع مثل الريح.. ولا بد أنني لست مجنوناً كما تقولين.

ولم تعد قادرة على مواجهته أكثر من هذا، أو أن تنكر صدق كلماته، فاستدارت راكضة فوق الدرجات التي توصل إلى موقف السيارات. هروبها زاده سرعة صوت ضحكة رالف الساخرة الخافتة. ودخلت سيارتها. وأخرجت مفتاحها من حقيبتها وأدارت محرك سيارتها «الأودي»، وبعد نصف ساعة كانت تدخل إلى كاراج مظلم، وأوقفت السيارة ثم دخلت إلى منزل من ثلاث طوابق.

وصعدت بهدوء عبر درج خلفي، ثم سارت في رواق مفروش بالسجاد السميك حتى غرفة نومها، فأضاءت الأنوار، ودخلت. كانت الغرفة تبدو، بأثاثها القديم الطراز وستائرها المتعددة الألوان ما بين الأحمر الوردي والزهري الفاتح، المكان المناسب لامرأة شابة، ترتدي ثوباً يعود إلى أيام الحرب الأهلية. ودخلت الى الحمام بعد أن خلعت ثوبها لتزيل الماكياج عن وجهها وتمشط شعرها.

ولم تفكر بالحفلة الراقصة إلا بعد أن استلقت في سريرها... وبالرجل الذي كان هناك. وأخذت تتقلب بين الأغطية.. لماذا ظهر رالف هذه الليلة، هذه الليلة من بين كل الليالي؟ في الوقت الذي بدأت فيه حياتها تعود إلى طبيعتها، لقد عاد ليقلبها راساً على عقب. منذ سبع سنوات وفي حفلة شبيهة بهذه الحفلة الراقصة، خرج رالف كوينتين من حياتها، وتركها لتلتقط قطع قلبها المحطم. كان عمرها سبعة عشر سنة عندما تألمت وغضبت، وبينما كان الوقت يمر كانت تدفن أحاسيسها حتى لا تدع لأي رجل فرصة كي يؤلمها ثانية. وصممت على أن لا تقابل رالف، حتى لا تترك له المجال ليدخل حياتها من جديد. وتشارلستون مدينة كبيرة، ولن يكون أمامها مشكلة في هذا.

وأخذ عقل كاترين يستعيد الماضي. بعد وفاة والديها، وعندما كانت في الرابعة من عمرها ربّاها جدها. ومع أنه أحبها بطريقته الجافة. إلا أنه كان قاسياً معها. زوجته كانت قد توفيت عند إنجابها لطفلتهما الوحيدة لوسي، وكان جاك وايلد قد صمم على أن تبقى لوسي معه لتعتني به في أواخر أيامه. وعندما تجاهلت تحذيراته حول الشبان، وتزوجت في سن مبكرة، تبرأ منها غاضباً، قائلاً لها إنه ليس لديه ابنة. ثم عندما ماتت ابنته وصهره في حادثة طائرة، تاركين كاترين يتيمة صغيرة، أخذ الطفلة، مؤمناً أن العناية الإلهية أرسلتها لتحل مكان لوسي.

وفي سن مبكرة، لم يشجع كاترين على أن تأخذ صديقاً. وأدخل في رأسهاأن عليها أن ترعى المنزل وتطبخ لجدها مقابل عطفه عليها وتربيتها. ولكنها اتخذت صديقة لم يعترض جاك عليها، وكانت بيتي ماكلاود، واحدة من نخبة المجتمع، وابنة أحد الأثرياء.

وقررت بيتي، الحمراء الشعر، الزرقاء العينين، ذات الشخصية النشطة، أن جد كاترين قاسٍ ونكد، منذ نظرتها الأولى إليه. وصممت الفتاة الرقيقة القلب أن تحصل كاترين على حياة اجتماعية قدر ما تستطيع، وأقنعت العجوز بأن يسمح لكاترين بقضاء العديد من الأمسيات في منزلهم، وأحياناً الليل كله. واحدة من هذه الليالي كانت مناسبة الحفلة الراقصة السنوية.

ـ حفلة راقصة؟ ولكنني لا أستطيع الذهاب، ليس لديّ ما أرتديه.

ـ أجل بإمكانك الذهاب، وانتظري حتى تري ثوبك. وسوف تبدين فيه كما يجب.

وكانت بيتي على حق، شعرها الأسود الحريري. جُمع متدلياً بضفائر تنسدل على ظهرها، وخصلتين منه تستديران حول أذنيها. ثوبها بلون اللافندر الخافت ذكرها بما ترتديه الممثلة «سكارليت أوهارا».

حفلة مدينة تشارلستون التنكرية السنوية كانت دائماً الحدث الاجتماعي للسنة كلها. ووقفت كاترين عند طرف باحة الرقص، تراقب الراقصين باهتمام. مظهرها الخجول أبعد العديد من الرجال عنها، مع ان جمالها اجتذب الكثير من نظرات الإعجاب من بعيد. كانت تخاف من أن يسألها أحد لترقص معه، وفي نفس الوقت خائفة من أن تبقى لوحدها طوال السهرة.

كانت كاترين تلتفت مبتعدة، عندما أمسكت يدان بخصرها وجذبتاها بين الراقصين، وحدّقت بشريكها وقد أفلتت من بين شفتيها شهقة دهشة. وقالت له:

ـ ماذا تفعل؟

ـ أرقص معك.. لا يجب أن تكون جميلة مثلك لوحدها، لذلك قررت أن أنقذك.

ـ ولكنني لا أعرفك.

ـ ستعرفينني..

واحمّر وجه كاترين تحت تأثير نظرة شريكها. شاب طويل، له جسد رياضي، وشعر بلون التبغ الذهبي يلتمع تحت الأنوار الساطعة، بينما عيناه بلون الذهب، وكأنهما عينا قط بري، وحكمت بأنه في أواخر العشرين من عمره، أو ربما في أوائل الثلاثين.

ـ اسمي رالف كوينتين. وبماذا أدعوك، ذات الجمال الثائر؟

ـ اسمي كاترين..

ـ أتحبين أن تتعلمي الرقص جيداً؟

ـ هذا يتوقف على المعلم.

وخرج نفس عميق من بين أسنان رالف. هل تدرك يا ترى كم هي جميلة؟ واعتقد أنها في أوائل العشرينات، ربما ليس أكثر من واحد وعشرين، في طريقها لتصبح رائعة الجمال.

ـ أنا مندهش لعدم وجود شاب معك.

هل أتت مع شخص ما يا ترى، وإذا كان كذلك، فهل ذلك الشاب من الغباء بحيث يترك هذه الثروة لوحدها؟

ـ لقد أتيت مع بيتي ماكلاود وصديقها جوشوا رينولد، وبما أنه واضح أنك لست من هنا، فكيف تمكنت من أن تحصل على دعوة لهذ الحفلة الفخمة؟

ـ لديّ بعض العلاقات، ولديّ قريب في اللجنة الاجتماعية، وأنت على حق، أنا لست من هنا، لقد تربيت في نيويورك.

ومضت لحظة قبل أن تلاحظ كاترين أنه خلال حديثهما قد سار بها مبتعداً عن جموع الراقصين، إلى الخارج في هواء الربيع المنعش.

ـ أوه لا.. عليّ أن أعود إلى الداخل.

ـ ليس الآن. أريد أن أعرف عنك أكثر من اسمك.

ـ ليس هناك ما أقوله لك، حقاً.

كانا لوحدهما على الشرفة. وهذا أمر غير ملائم، فهي لا تعرف هذا الرجل. قبضة رالف على يدها كانت قوية، ومع ذلك فقد كانت ترسل إشارات متسارعة في جسدها. وقالت له:

ـ أنا أعيش مع جدي، وأعتقد أن بإمكانك القول إنني هنا بسبب علاقاتي.. أيضاً. ولكنك لم تقل لي شيئاً عنك.

ووقف رالف أمامها، يتمتع بالطريقة التي يشع فيها ضوء القمر فوق وجهها.

ـ ولماذا أقول لك، قد تكونين جاسوسة «لليانكي».

ثم ابتسم وأردف:

ـ أنا كاتب.

ـ اوه، وماذا تكتب، كتب، أم مقالات لمجلات، أم قصص للجرائد؟

ـ كتب.. القصص الجاسوسية، مثل نوعية قصص جيمس بوند.

ـ كوينتين.. هل أنت رالف ك. كوينتين؟

ـ مذنب بالتهمة المنسوبة إليه يا سيدي القاضي.

وضحك وهو يحني رأسه.

ـ هل أنت من كتب قصة «مخادعو الليل».

ـ مذنب مرة ثانية.

وتذكرت كاترين القصة تماماً كانت قصة عميل روماني مزدوج وقع في حب عميلة للأنتربول. كذلك قرأت الغلاف الخلفي للكتاب وشاهدت صورة الكاتب وتساءلت عن نوع هذا الرجل الذي يكتب عن الحب بهذه التفاصيل الدقيقة، وبمقابلتها له الآن، لم يعد لديها شك في أنه كتبها من تجربة شخصية. ولسبب ما لم تعجبها هذه الفكرة.

ـ هل أنت هنا لكتابة قصة جديدة أم لزيارة أقاربك؟

ـ قليل من الاثنين معاً. عمتي تملك شقة بسيطة أستخدمها عندما أكون هنا. إنها تحبني ولكن الساعات التي أمضيها شارداً تزعجها، لذا أحاول أن أبتعد عن طريقها.

ـ لا أستطيع تصور أن يشكو أحد منك.

ومد يده فجأة ليوقفها على قدميها.

ـ هيا بنا نرقص.

ورقصت كل الرقصات مع رالف، الذي رفض بعجرفة أن يتخلى عنها لأي شاب آخر. وتلاشت الابتسامة عن شفتيها عندما نادتها بيتي تقول لها إن عليهما الذهاب، وهي تنظر إلى رالف بفضول، وقامت كاترين بتقديمهما لبعضهما. فابتسم رالف لبيتي ابتسامة ساحرة وقال:

ـ لا بأس أن تنصرفي مع صديقك آنسة ماكلاود، سأعيد كاترين إلى البيت بنفسي.

ـ حسناً.. أظن لا بأس بهذا.. سأراك في المنزل يا كاترين.

بعد خمسة عشر دقيقة، ساعد رالف كاترين على الصعود في سيارته «اللانسيا» الكحلية. وحبست أنفاسها، وقد تردد قليلاً قبل أن يدير المحرك، وهي تتمنى أن يتقدم منها ويعانقها، كانت تريد أن يكون أول عناق لها مع هذا الرجل، ولكنه أصلح وضع المرآة الأمامية، ثم استدار إلى المقود، وقال:

ـ أحتاج إلى توجيهات عن الطريق لمنزل صديقتك.

وتمتمت كاترين بالعنوان، آملة أن لاتظهر خيبة الأمل في صوتها. وكان رالف لائقاً ومؤدباً وهو يرافقها إلى باب المنزل، فقالت:

ـ شكراً لك على هذه الأمسية الرائعة.

كانت لا تريده أن يذهب، خشية أن لا تراه ثانية. ونظر رالف إليها، وقد قرأ أفكارها من عينيها، فأخذ يدها ونظر إلى أصابعها النحيلة المقلمة الأظافر، ورفعها إلى شفتيه، وبدت هذه القبلة أكثر وداً مما لو عانقها، واللمسة الخفيفة لشفتيه على يدها كان لها قوة إرباكها حتى أخمص قدميها.

ـ عمت مساء يا كاترين الجميلة. وشكراً للأمسية للذكرى.

ودون أن يسألها إذا كان بإمكانه أن يراها ثانية، ترك يدها واستدار مبتعداً نحو سيارته دون أن ينظر خلفه.

في إحدى الأمسيات بعد أسبوع، بينما كانت تخرج من المكتبة العامة في المدينة دهشت لرؤية رالف عند المدخل.

ـ ما رأيك بفنجان قهوة؟

قال هذا وكأنه قد كان معها في اليوم السابق، بدلاً من اسبوع.

ـ لا.. لا أستطيع..

ـ مجرد فنجان قهوة يا كاترين.

ونظرت كاترين إلى ثيابها غير اللائقة.. لا تستطيع الذهاب معه إلى أي مكان وهي مرتدية هكذا! من قبل، لم تكن تفكر كثيراً بما تلبسه، وفجأة، رجل جعلها تدرك بأنها قد أصبحت امرأة، وكل شيء حول مظهرها مقلق لها. ولم تكن لتدرك أن أي رجل ينظر إلى ملامحها الجميلة والى شعرها الناعم الحريري الأسود الذي يحيط بوجهها، لن ينظر أبداً إلى ما ترتديه.

وأخذ رالف منها الكتب ووضعها تحت ذراعه، وامسك بيدها ليجذبها نحو سيارته.

ـ أنت تبدين رائعة.

بعد عشر دقائق كانا جالسين في زاوية مقهى قريب. وسألها رالف:

ـ هل عشت مع جدك لزمن طويل؟

www.elromancia.com

وأطرقت كاترين رأسها وقالت بصوت منخفض:

ـ منذ أن كنت في الرابعة. والداي قتلا في تحطم طائرة.

ونظرت بابتسامة مختصرة إلى الساقية التي وضعت القهوة الساخنة أمامها وابتسمت لرالف بحرارة قبل أن تذهب.. لماذا لا تستطيع هي أن تتصرف بسهولة أمام الرجال كما تفعل هذه الساقية؟

ـ هل تعملين؟

وكادت كاترين أن تدلق فنجان القهوة عند سماعها سؤال رالف.

ـ لا.. أنا أعتني بمنزل جدي.

وقطّب رالف. كانت خجولة وغير واثقة من نفسها، وليس كما كانت ليلة التقاها أبداً، ليلتها كانت متألقة ومليئة بالحيوية، وهي الآن تشابه العصفور الهادىء الصغير.

ـ وهل لك صديق؟

وكان للسؤال معنى محدد لم تفهمه كاترين عندما هزت رأسها بسرعة بالنفي. وفاتها أن تلاحظ قسمات رالف المتوترة وهي تسترخي. لم تكن تريد أن تخبره أن جدها حرّم عليها الخروج مع الشبان، قائلاً: إنهم سيسببون لها المشاكل فقط ووجع القلب.

وشعر رالف بالانقباض وهو يستمع إلى كاترين. من الواضح أنها فتاة لا يمكن لرجل أن يضجر من وجوده معها. بعد ذلك وفيما هي تستمع إلى إحدى قصص رالف عن رحلاته، نظرت إلى الساعة، وشهقت.

ـ عليّ أن أذهب.

وبدأت النهوض عن مقعدها فقال رالف على الفور:

ـ سأوصلك بسيارتي.

ـ لا..

لا يجب أن يعرف جدها أنها كانت مع رجل. وللحظة اشتدت حدة ملامح رالف.

ـ هل أنت واثقة أن أحداً لا ينتظرك غير جدك؟

ـ لا.. فجدي لا يحب أن ألتقي بالرجال.

لم تكن قد تعلمت أبداً أن تكذب، حتى ولو نظر إليها رالف كطفلة ولم يعد يريد أن يراها.

ـ حتى أنه لا يسمح لي بالخروج إلى موعد.

ـ اننا في القرن العشرين، ولسنا في العصور المظلمة. أم أن أحداً لم يبلّغه هذا الواقع؟

ـ لقد ترعرع في منطقة ريفية في انكلترا، هذا جزء من تربيته.

ـ ومع ذلك سأوصلك إلى المنزل. وإذا كان من الأفضل لك، انزلي بالقرب منه. أريد فقط أن أتأكد من وصولك سالمة.

ـ حسناً.

وأوقف رالف السيارة بعيداً عن المنزل واستدار إليها.

ـ أظن أنك ستزورين المكتبة في القريب العاجل آنسة ويزدوم؟

في أعماقها كانت تعرف أن استمرارها برؤية هذا الرجل سيجلب لها غضب جدها، فهو بطريقة ما سيعرف. ولكنها للمرة الأولى أحسّت بميل للتمرد وتوق للحياة الاجتماعية التي تتمتع بها الفتيات. ولكن ردها عليه كان رداً صادقاً:

ـ أنا لست كما تعتقدني يا رالف... ثوبي تلك الليلة كان لبيتي، وكنت هناك بناء على دعوتها فقط.. كنت مثل ساندريللا.

ورددت بينها وبين نفسها «وأنت كنت كالأمير الفاتن».

ـ لا يهم.. فهذه المناسبات الاجتماعية تضجرني.. سأراك فيما بعد.

وجمعت كاترين كتبها، وهي تشعر بالخجل وخرجت من السيارة.

www.elromancia.com

ولم يبدأ محرك السيارة بالدوران حتى وصلت إلى المدخل الأمامي للمنزل وصرخ بها صوت أجش بلهجة إنكليزية حادة:

ـ وأين كنت يا آنسة؟

وجفلت كاترين، وأسرعت تشد فبصها على الكتب قبل أن تقع.

ـ آسفة لأنني تأخرت.

ووقفت تواجه الرجل الطويل المتورد الوجه، بلحيته الكثيفة الرمادية الذي كان ينظر بغضب إلى حفيدته.

ـ كان عليك أن تكوني في المنزل منذ اكثر من ساعة. فأنت تعرفين جيداً الوقت الذي أرغب فيه بتناول وجباتي من الطعام.

ـ أنا آسفة.. لقد فاتني الباص وكان عليّ أن أسير إلى هنا.

ونظر إليها جاك وايلد بارتياب. ومع ذلك فلا سبب ليشك في كلامها.

ـ هل أنت واثقة أنه ليس واحداً من الشبان من زملائك في المدرسة الذي أخرك؟

ـ لا...

على الأقل هي لم تكذب. رالف ليس صبياً وليس من مدرستها بالتأكيد. وقال راعداً وهو يلتقط جريدته:

ـ انتبهي حتى لا يحدث هذا مرة أخرى. الأفضل أن تدخلي وتبدأي بتحضير العشاء.

بعد هذا، التقت كاترين برالف عدة مرات. ولم يمض عليها وقت طويل لتعلم أنه لجأ لطلب المساعدة من بيتي. ففي المرة الأولى أقنعتها بيتي بالذهاب معها إلى السينما وكان رالف هناك. وتمتعت بصحبته إلا أنها أحسّت بخيبة الأمل لأنه لم يفعل شيئاً سوى أن يمسك بيدها. وسألتها بيتي بعد ظهر أحد الأيام بعد أن تناولتا الغداء في المدينة أثناء قيام كاترين بالتسوق الاسبوعي.

ـ اسمعي.. أنا أعرف أنك متعودة على صحبة من هم أكبر منك سناً.. ولكن ألا تظنين أن رالف أكبر منك بكثير ولديه خبرة أكبر بكثير من خبرتك؟ أعني.. هل يعرف كم عمرك؟

ـ بيتي.. أنا لم أكذب في حياتي إلا مؤخراً. رالف يظن أنني في العشرين أو الواحد والعشرين. ولم أخبره أي شيء غير هذا، والسبب الوحيد لعدم معارضة جدي رحلاتي إلى المدينة هو اعتقاده أنني معك. ولن يقول شيئاً لأن والدك هو أفضل زبون عنده.

ـ أنا فقط لا أريد أن أراك تتألمين، هذا كل شيء.

وابتسمت بيتي. وقد لاحظت دلائل بداية وقوع في الحب.

ـ رالف لن يؤلمني أبداً.

* * *

وتنهدت كاترين وعادت بأفكارها إلى الحاضر، كما كانت ساذجة يومها! كان من الممكن أن تتجنب الكثير من وجع القلب لو أنها كانت تعرف ما اكتشفته فيما بعد.. فالرجل الذي كان يعني لها الكثير.. تبين أنه فارغ لا يوثق به، تماماً كما قال لها جدها إن كل الرجال هكذا ولكن كان يجب تكتشف هذا بالطريقة الصعبة.

وغضبت كاترين من نفسها لاستعادتها ذكريات الماضي.. فضربت وسادتها، وانقلبت على جانبها وقد ضمّت ساقيها، وأخيراً.. استغرقت في نوم قلق...

☆ ☆ ☆

www.elromancia.com

جدار من جليد

في الصباح التالي ، التي نـزلت الدرج كـانت كاتـرين مختلفة. شعرها كان ممشطاً الى الخلف في كعكة عند مؤخرة رأسها، وارتدت تنـورة بمربعـات بألـوان كحلية، وخمـرية، ورمـادية، وفـوقها بلوزة خمرية.

وحيّت الخادمة:

ـ صباح الخير يا ميلا. . هل طلبت السيدة هاميلتون فطورها؟

ـ منذ ربع ساعة، وتريدك أن تصعدي إليها عندما تنهين إفطارك.

بعد انتهائها من الإفطار ذهبت إلى جناح ماغي الكبير في الطابق الثاني، وهي تحمل مجموعة أوراق للاختزال وقلماً، وقرعت الباب ثم دخلت.

ـ لم أتوقع أن تستيقظي اليوم مبكراً.

أتى الصوت من الناحيـة الأخرى للغـرفة. . . كـانت صاحبتـه مستلقية على أريكة ذات غطاء من السـاتان الموف، ترتدي روباً بلون

الكريم. شعرها الفضي مسرّح بشكل مجعد، الماكياج كان يخفف من التجاعيد والخطوط ويبرز عينيهـا البنيتين الذهبيتين، ممـا يظهـر الجمال الذي كانت تملكه عندما كانت شابة، ولمعت خواتم ماسية في عدة أصابع من يديها. . وتابعت:

ـ وما كان عليك أن تبقي هناك متأخرة هكذا.

ـ لقد بقيت إلى ما بعد منتصف الليل مباشرة.

وجلست كاترين إلى طاولة الكتابة الفـرنسية الـطراز، فقالت لهـا ماغي موبخة:

ـ ما كان عليك أن تتصرفي كسندريللا. أراهن بأنك لم ترقصي مع أي شاب هناك.

ـ لم أكن مهتمة. لقد ذهبت إلى هناك نيابة عنك. وكانت الفرقة الموسيقية رائعة، والزهور كما قررتي أنت واللجنة أن تكون. ولكن الخبز المحمص الذي قدّم للضيوف كان جافاً. يجب إبلاغ متعهـد الطعام بهذا.

ومـالت المرأة المسنة الى الخلف، تلّوح بيديها في الهواء:

ـ أوه يا كاترين. . أنت في الرابعة والعشرين، وليس في حياتك علاقة حب بعد، ماذا أفعل بك؟

ونظـرت إليها كاترين وقد صُدمت: «ماغي!».

ـ قد أكون تجاوزت الستين، ولكنني لم أمت بعد. أنت امرأة شابة وجميلة. وليس من المنـاسب لـك أن تصـدي كـل هؤلاء الشبـان المهتمين بك.

ـ إنهم يبعثون الضجر في نفسي، جميعاً.

لم تكن هذه المرة الأولى التي تتناقشان بهـ وضع كاترين العاطفي وهزت ماغي رأسها بغيظ.

ـ يبعثون الضجر. . أنت تعيشين حياة منعزلة. لم تعيشي طفولتك

www.elromancia.com

جيداً، وقد تأكد جدك من هذا.

ـ في مثل عمره، كان صعباً عليه تربية طفلة صغيرة.

ـ أنا لا أتكلم ضده بأية طريقة، ولكن عليك أن تعترفي أنه قد فوّت عليك معظم النشاطات الاجتماعية التي تستحقها أية فتاة.

ولم تكن تدرك أنه فيما يتعلق بكاترين، فقد حصلت من النشاطات الاجتماعية ما يكفيها العمر كله! ثم تابعت:

ـ أظن أن والداك كانا سيتمنيان هذا لك. فأنا واثقة أنهما كانا يحبان الحياة.

وتنهدت كاترين بارتباك، واستدارت لتلتقط رزمة الرسائل. وهي تتوق لتغيير الموضوع، وسألتها بهدوء:

ـ هل ستحضرين حفلة شاي السيدة بيركنز في نهاية هذا الشهر؟

وأمضتا ما تبقى من الصباح تقلّبان بريد ماغي، وتبحثان بعض الأمور المنزلية. وقالت ماغي لها:

ـ أود أن تحضري خادمتين إلى الطابق الثالث لتنظفاه. فابن اخي في المدينة، وقرر أن يشّرفني بحضوره.

ـ الطابق العلوي؟

وتجعد جبين كاترين، وقطبت مفكرة.

ـ أجل.. لقد فرشته بالأثاث كجناح للراحة منذ سنوات.. ورالف يحب أن يكون لوحده، وله مدخله الخاص.

ـ سأجعلهم يهتمون بالأمر.

كاترين عادة تتناول الغداء مع ماغي على شرفة غرفتها. وجلستا تتناولان الطعام وتتحدثان. ونظرت ماغي إلى الأرض المحيطة بالمنزل، والمعتنى بها جيداً، بفخر. وتمتمت:

ـ مؤسف أن لا يتمتع جون بكل هذا...

كانت تشير إلى زوجها، الذي توفي منذ سنوات، وتابعت:

ـ لقد عمل كل هذه السنوات ليجعل من المنزل ما يريده تماما. ولم تتح له فرصة رؤية نهاية مشروعه.

وسألتها كاترين، وهي تعلم أن التفكير بزوجها يجعلها حزينة:

ـ لا أذكر أنك أشرتي من قبل أن لك ابن أخ.

ـ إنه الابن الكبير لأخي. كان رالف معتاداً أن يزورنا في عطلاته المدرسية. وأشك في أن أراه كثيرا في زيارته هذه، لقد كان له عدة صديقات في الماضي. ولا أظن أنه تغيّر. لم أشاهده منذ ما يقرب لخمس سنوات. آه.. أجل.. أريدك أن تذهبي إلى مكتب السيد سالدرز بعد الظهر وتجلبي لي بعض الأوراق.

بعد أن أحضرت أوراق ماغي، توقفت كاترين عند مجمع تجاري كبير في المدينة. واشترت عدة أشياء كانت ماغي قد طلبتها. ثم توقفت عند إحدى واجهات العرض لتجرب عدة عطور. وأتاها صوت رجل من خلفها:

ـ هذا النوع لا يناسبك.

واتسعت عيناها البنفسجيتين، واستدار رأسها ليواجه رالف، الذي تابع:

ـ أنت بحاجة إلى عطر يناسب شخصيتك أكثر.

والتقط زجاجة، وأمسك بمعصمها الآخر، ثم رش عليه القليل من العطر، وأخذ وقته في فركه على بشرتها الحساسة بحركات دائرية، مبقيا عينيه مركزتان على وجهها.

ـ هذا يناسبك أكثر.

وقالت كاترين بحدة، وهي تحاول سحب معصمها منه:

ـ لا أذكر أنني سألتك.

فقال بنعومة:

www.elromancia.com

ـ لا تضعي أبداً عطراً تضعه المرأة المتصنعة، لأنك لست هكذا. بل ضعي ما هو مناسب لك. عطر يستمر، جميل ومغري. فأنا أتذكر امرأة دافئة تحت كل هذا الجليد.

ورفع معصمها إلى شفتيه. وجذبت يدها من اللمسة المكهربة. واحمّر وجهها وهي تسمع ضحكته الساخرة الخافتة وهي تسرع سيرها فوق الممشى.

عندما وصلت إلى المنزل وضعت أوراق ماغي من يدها ثم صعدت إلى الطابق العلوي. وأخذت دوشاً كأنما تحاول أن تغسل آثار لمسته لها، وشعرت بوخزٍ ناعمٍ على بشرتها وهي تتذكر لمسته الدافئة. وصرّت بأسنانها غاضبة. هل ستصطدم بهذا الرجل الذي لا يطاق في أي مكان تذهب إليه؟

واستلقت في المياه الحارة المعطرة، وأجبرت نفسها على الاسترخاء. لن تسمح له بتكدير حياتها. فلو كانت محظوظة فسوف لن تراه ثانية فلقاؤه اليوم كان محض صدفة.

انشغلت كاترين كثيراً في اليومين التاليين، وهي تشرف على تنظيف الطابق الثالث. وبعد أن أزيلت الأغطية عن المفروشات وتم تنظيف السجاد، عادت الغرفة إلى رونقها.

وسألت كاترين إحدى الخادمات.

ـ جويس.. هل كنت تعملين هنا عندما كان ابن شقيق السيدة هامبسون يزورها؟

ـ لا يا آنسة ويزدوم.. ولكنني سمعت أنه محطم قلوب حقيقي.

وحضر فوراً إلى ذهن كاترين صورة الرجل الذهبي الشعر بلون التبغ بعينيه المشابهتين لعيني القط البري. ولكنها هزت رأسها مبعدة هذه الأفكار، ثم عادت إلى مهمتها. بعد ذلك قيل لها إن طعام

العشاء سيقدم في غرفة الطعام، فأسرعت إلى غرفتها لتغير ثيابها... وقرعت إحدى الخادمات على بابها قائلة:

ـ آنسة ويزدوم.. لقد وصلت علبة إليك.

ـ علبة؟ ولكنني لم أطلب شيئاً.

ـ إنها مرسلة لك.

وأشارت الخادمة إلى العنوان على العلبة، وكانت من نفس المخزن الذي قصدته في وقت مبكر.

وهزت كتفيها، وأخذت العلبة وحملتها إلى السرير. وبعد أن فتحتها، شهقت لمرأى ما تحتويه. وعبق عطر رائع الرائحة في جو الغرفة، نفس العطر الذي رشه رالف على معصمها. وكانت العلبة تحتوي على ماء الكولونيا، وعطر، وعلبة بودرة، ومستحضر سائل للجسم، وزيت استحمام وصابون، كلها بنفس الرائحة. وبأصابع مرتجفة التقطت البطاقة الموضوعة في الداخل، وكانت تقول:

«تستطيعين الآن أن تضعي عطرك بأية طريقة تختارينها».

وبالرغم من أن البطاقة غير موقعة، فقد عرفت كاترين من أرسلها. واجتاحتها نوبة من الغضب.. كيف يجرؤ! لا بد أنه رالف، ولكن كيف عرف أين تسكن؟.. يجب أن تعيدها له. وأعادت بسرعة العلبة إلى ما كانت عليه، ثم توقفت.. تعيدها إلى أين؟ إنها لا تعرف أين يسكن! ولمست بأصابعها إحدى العلب الصغيرة. إنه عطر جميل، من النوع الذي لا تستطيع تحمل شراءه. ولكنه من رالف. واستقامت في وقفتها وبدأت تخرج العلب من الصندوق الكبير قبل أن تفقد شجاعتها.

وبعد ذلك بوقت طويل، ارتدت كاترين ثوباً أبيضاً بسيطاً ينسدل بروعة حتى قدميها، يكشف عن كتفيها، وياقته مكشوفة أيضاً، ووضعت سواراً فضياً عريضاً في معصمها وأقراط فضية أيضاً في

www.elromancia.com

أذنيها. وجمعت شعرها على قمة رأسها مما أضاف إليها طولاً ووقاراً.

وهي تنزل الدرج، سمعت صوت ماغي، ورد خاطف لرحيل في غرفة الجلوس. واستدار ماغي بسرعة عريضة عندما دخلت.

ـ ها هي.. يا رالف.. هذه كاترين بيزدوم سكرتيرتي، كاترين هذا ابن أخي رالف كوينتين.

وغمزت عينا رالف بخبث.

ـ سعيد جداً بمقابلتك آنسة بيزدوم.

وتجمد وجه كاترين.. لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. ودارت بها الدنيا، وقاومت لتستعيد رباطة جأشها. لم تراوح له كان يتمتع بهذا المشهد أمام عمته، وتابع:

ـ لقد أخبرتني عمتي الكثير عنك، حتى أنني أشعر أنني أعرفك بالفعل.

ـ أوه وهل فعلت؟

وقالت له ماغي آمرة:

ـ نادها كاترين يا رالف. كلنا عائلة واحدة هنا.

كلماتها البريئة أرسلت ألماً حاداً في كيان كاترين. وقال رالف:

ـ ماذا تحبين أن تشربي يا كاترين؟

ـ كوباً من المرطبات فقط أرجوك سيد كوينتين.

ـ نادني رالف.. أشعر بأنني أكبر بسبع سنوات عندما تناديني بسيد كوينتين.

وجلست كاترين في مقعد وثير مغطى بقماش شرقي بلون الورد. وكانت حذرة حتى لا تلمس أصابع رالف وهو يقدم لها الكأس. وقال لها بصوت خفيض، ليؤذيها فقط:

ـ أنا مسرور لأنك قررتي أن تستخدمي هديتي.

ـ لم أعلم كيف أستطيع أن أردّها.. ولكنني الآن أعرف.

ـ أشك أن تبدو مثيرة عليّ هكذا.

وسارعت إلى سؤاله بصوت مرتفع.

ـ هل ستبقى هنا طويلاً سيد كوينتين.

ـ طالما أحتاج إلى البقاء.

وقالت ماغي دون أن تلاحظ ما بين ابن شقيقها وسكرتيرتها:

ـ رالف كاتب. وهو يرغب في مكان هادىء يستكمل فيه أبحاثه، ثم يبدأ بكتابة قصته الجديدة. إنه يكتب القصص الجاسوسية.

وسألها رالف بصوت مؤدب خبيث:

ـ هل قرأت إحدى قصصي يا كاترين؟

ـ آخر اثنتين.. كانتا جيدتين.

والتوت شفتا رالف بابتسامة ساخرة، وقد أحس بالكذب في صوتها. ففي الواقع، لم تتمكن من إمساك كتاب منذ آخر ليلة لهما معاً.

طوال تناول العشاء، كانت تحس بنظراته المتفحصة عليها. وبعد العشاء أمسك رالف بمقعد ماغي واستدار ليمسك مقعد كاترين. وهمس لها:

ـ هذا لون يناسبك تماماً.. الأبيض.. لون الطهارة والبراءة.

ـ شكراً لك سيد كوينتين.. إنه ثوبي المفضل.

وقالت ماغي..

ـ أفضّل أن اتناول قهوتي على الشرفة، إنها أمسية رائعة، هل تنضمان إليّ؟

وتبعتها كاترين، لم ترغب في أن ينفرد بها رالف.. كان لديها انطباع أنه لن يتركها وشأنها لفترة طويلة. وقال رالف فجأة:

ـ يجب أن أعترف.. كاترين أفضل بكثير من الآنسة شارلي.. ماذا

www.elromancia.com

حدث لها؟

ـ فعلاً يا رالف.. لقد انتقلت إلى ڤيرمونت لتسكن مع شقيقتها منذ سنة.

ـ وكيف حصلت على هذا الحظ بإيجادك كاترين بديلة عنها؟

وقالت كاترين بهدوء:

ـ ماغي كانت لطيفة معي بإعطائي الوظيفة بعدما مات جدي، مع أنني لا أعرف لماذا، لأن مهارتي كسكرتيرة محدودة.

وقالت ماغي:

ـ لا تصدقها.. كاترين لها طريقة رائعة في التعامل مع الناس، وهي تتعلم بسرعة.. وعليّ أن أعترف أنها أجمل للنظر من الآنسة شارلي.

ـ هذا واضح..

وحالما سنحت لها الفرصة، وقفت كاترين معتذرة، وقاومت شعوراً بالارتجاف عندما نظر إليها رالف ثانية، فقد بدت عيناه وكأنهما تحرقان بشرتها من خلال قماش ثوبها.

وبمضي الأيام التالية، دهشت كاترين لأن رالف لم يحاول أن يقترب منها.. وحتى الآن، حضر مرة واحدة لتناول العشاء. وأمضى معظم وقته يتحدث إلى عمته، وكان يحضر ما تبقي من وجباته بنفسه في مطبخه الصغير، قائلاً إنه بحاجة للعزلة ليعمل بشكل فعال.

وعند بعد ظهر أحد أيام الربيع الدافئة جلست كاترين في مكتبها الصغير، تتفحص لائحة المدعوين، متمنية أن تنقضي حفلة الشاي بسلام.

ـ إذاً.. ها هنا يمكن إيجاد الآنسة ويزدوم الرائعة خلال ساعات العمل.

ورفعت كاترين نظرها لتجد رالف واقفاً عند الباب، ويداه في جيوبه، ولوى رأسه إلى جانب واحد ليدرس وجهها فسألته ببرود:

ـ هل تحتاج إلى شيء؟

ـ بعض كتب المعلومات، ولكن بما أنها لا توجد في قسمك سأكتفي بالقاموس.. يبدو أنني أضعت قاموسي.

ودون أن تجيب أشارت بطرف القلم إلى الرفوف من ورائها... وأحست به يتحرك خلفها، وللحظة فقدت حبل أفكارها وكان عليها أن تجاهد لتستعيد سيطرتها على نفسها.

ـ هل يجب عليك أن تضعي هذه طوال الوقت؟

ـ ماذا؟

ـ النظارات.. لا أذكر أنني رأيتك تضعينها من قبل.

ـ أنا أضعها فقط للقراءة عن قريب.

بعد كل هذا الوقت.. كيف يستطيع أن يبعث فيها الاضطراب بهذه السهولة؟ لم يستطع أي رجل أن يؤثر بها كما يستطيع رالف أن يفعله بها بمجرد النظر إليها بعيني القط البري هاتين.

ومال إليها بحذر لينزع نظارتها:

ـ أنت أول امرأة أعرفها لا تهتم بأن تظهر وهي تضع نظارات.

ـ ربما النساء اللواتي تعرفهن لا يستطعن تهجئة كلمة الغرور. ويفضلن تجاهلها.

ووقفت كاترين، وبدا على صوتها الإشارة له بالانصراف وهي تستدير قائلة:

ـ والآن.. أرجو أن تعذرني..

ـ ألم تعودي ترخين شعرك ابداً؟

وتحرك حول الطاولة وسار نحوها ومد يده ليلمس شعرها. فقالت بحدة:

- لا تفعل هذا!

وابتعدت عنه بسرعة. ولمع شيء في عينيه وهو يخفض يده.

- مما أنت خائفة؟ أتخافين أن أخترق هذا الجدار الجليدي الذي تتمتعين بإخفاء نفسك وراءه؟

- لقد كبرت بما فيه الكفاية في السنوات السبع الماضية ولا أحب أن ينظر إليّ أي رجل متحدياً.. فلديّ طرق أفضل لأمضي وقتي بها.

- هل هذا صحيح؟ أخبريني كاتي، كيف تمضين وقتك؟

- لا يعجبني اختصار اسمي.. فالأسماء السعادة تحط من قدر الإنسان.

- تحط من القدر؟ لقد اعتقدت أن الاسماء المستعارة تستخدم دائماً، ربما أكثر بين الأحبة، ولكنك لا تعرفين بهذه الأمور، أليس كذلك؟

قال كلماته هذه وخرج ومالت كاترين إلى الجدار، وشعرت بأنها خاضت معركة وخسرت.

بعد يومين، كانت كاترين تقطع الباحة الخارجية عندما لاحظت أن الشقراء ما يصعد السلالم، ورأت كاترين شقراء ترتدي ثوباً أزرق قصيراً، ولكنها لم يضع وقته، وتنهدت بعمق دون أن تشعر، واستدارت لتعود إلى المنزل.

عند المساء، بينما كانت تتمشى في الحديقة سمعت صوتاً من الطابق الثالث. ثم فُتح الباب وأُغلق، فنظرت إلى فوق لتجد الشقراء تضحك وهي تنزل السلم ممسكة بذراع رالف، ثوبها القصير يكشف الكثير من ساقيها وهي تتحرك.

وتراجعت إلى الخلف بسرعة نحو الظل، وسمعت الشقراء تقول:

- أوه.. أرجوك رالف.. دعني أبقى لن أزعجك أبداً.

- باربرا.. سوف تزعجيني مهما بقيت هادئة.

وجذبها إلى ذراعيه، واستجابت بطواعية.

- متى أراك ثانية؟

- بأسرع وقت ممكن.

وشعرت كاترين بالحنين وهي تشاهد العناق الحميم. وتمتمت المرأة بلهجة مصممة، وبلغت الكلمات أذني كاترين بسهولة.

- دعنا نعود إلى فوق.

- كوني فتاة طيبة يا باربرا. ودعيني أعود إلى عملي.. أعدك أن أتصل بك بأسرع وقت أستطيعه.

وأبقى ذراعه حول خصرها وهو يسير بها نحو سيارة المرسيدس السبور المكشوفة.

وعندما أصبحا بعيدان، ركضت كاترين نحو المنزل إلى غرفتها. لا شك عندها أن رالف ليس من النوع الذي يحيا حياة الرهبنة.. وقد احست بهذا منذ سبع سنوات. الطريقة التي ينظر بها إليها هي نفس الطريقة التي ينظر بها إلى باربرا الآن.

كاترين تعرف كل شيء عن باربرا! باربرا دانتون التي تزوجت رجلا أكبر منها بالكثير من السنوات، والذي غض النظر عن علاقاتها المتعددة. وجعل الأمر أسهل عليها عندما مات بعد سنة من زواجهما بنوبة قلبية. وبعدها أصبحت باربرا موضوع الإشاعات لمن يسمين بنساء المجتمع، وخاصة كونها أرملة ثرية.

وللمرة الأولى منذ سنوات شعرت كاترين بوتيرة حياتها المستقرة تضطرب، ومرة أخرى فعل هذا نفس الرجل الذي جذبها بفتنته من قبل. الرجل الذي كان يمثل كل شيء حذروها من الاقتراب منه.

رالف كوينتين لا يسبب لها سوى الألم والحزن، اللذان تغلفهما سعادة قصيرة الحياة. واستدارت عن النافذة وارتمت بين أغطية فراشها، لتحدق بالسقف طويلاً قبل أن يتغلب عليها النوم.

٣ ـ لن تسمح

أعطت ماغي لكاترين، اليوم التالي ليوم حفلة الشاي إجازة لذلك عندما استيقظت من النوم، ارتدت بنطلوناً قطنياً وقميصاً قطنياً أبيض. وتركت شعرها مسترسلاً، وابعدته عن وجهها بمشبكين زرقاوين على الجانبين. وسارعت إلى الخارج متلهفة حتى لا تضيع لحظة من هذا اليوم الحار المشمس.

استغرقت نزهتها إلى الحديقة العامة في اديستو بارك حوالي خمس واربعين دقيقة، كانت تتمتع بنزهاتها إلى هناك وغالباً ما تذهب إليه. ووجدت المكان المفضل لديها من الشاطىء مهجوراً. واختارت مكاناً قرب تلة من الرمل، وجلست وكتابها على ركبتيها. الشمس كانت تبعث الدفء في جسدها، وتمددت، محاولة التركيز على الكتاب، ولكنها شعرت بثقل رموشها وقاومت لتبقى مستيقظة.

ـ إذاً.. هكذا تمضين أيام إجازتك.

والتفتت كاترين، ونظرت إلى الأعلى واضعة إحدى يديها لتغطي عينيها من وهج الشمس.. وقالت بعدم اكتراث:

ـ اوه.. هذا أنت..

ثم عادت إلى كتابها ثانية.

ـ هذا ألطف شيء قاله أي انسان لي من قبل.

ودون أن يهتم بتحية كاترين الباردة له، جلس على الرمال إلى جانبها.

ـ شكراً لك.. سأجلس.. أمر جيد أن يجد المرء رفيقاً.. ألا توافقين معي؟

وبقيت كاترين صامتة، وعيناها مركزتان على الكتاب، ولكن من زاوية عينها استطاعت أن ترى طرف حذاءه وطرف بنطلونه الجينز. وبعد لحظات صمت قال معلقاً:

ـ أنت قارئة بطيئة جداً.

وتنفست بغضب وقالت ببرود:

ـ أنا واثقة أنك تفهم أنني أحب قراءة الكتاب لوحدي.

ـ عليك أن تبقي شعرك مسترسلاً هكذا.. إنه يجعلك تبدين كفتاة صغيرة، ممكن الاقتراب منها أكثر.

وهزت رأسها لتتجنب لمسة يده لشعرها وقالت بحدة:

ـ لماذا أنت هنا؟ هل تبعتني؟

ـ آنسة ويزدوم! هذا بلد حر، وهذا أيضاً شاطىء عام. وأنا أجيء إلى هنا معظم الوقت لأتمتع بحرارة الشمس.

ـ هناك الكثير من الشمس في منزل عمتك وبضعة كراسي للنوم لهذا الغرض. إضافة إلى انك لست مرتدياً ما يناسب حمام الشمس

ـ وماذا ستقولين لو قلت إنني هنا لأجمع بعض الأصداف؟ فالمكان هنا مشهور بأصدافه.. هل تدركين كم أن بعض الأصداف ثمينة؟

وقاومت كاترين رغبة في الابتسام.

ـ بما أن هذا يوم راحتي، وأرغب في أقضيه لوحدي، فأنا واثقة

بأنك تستطيع تفهم أنني لا أهتم أبداً بأصدافك.

فتجاهلها، ونظر يميناً وشمالاً إلى الشاطىء المهجور باهتمام:

ـ من الغريب كيف يبدو شاطىء مهجور وكأنه مألوف.

وادار رأسه لينظر إليها، وتعالى اللون الأحمر إلى وجهها وقد فهمت ما يعنيه، ومع أنها لم تدرك هذا سوى في تلك اللحظة، إلا أنها كانت قد اختارت مكانها المفضل للراحة في نفس المكان الذي أخذها إليه منذ سبع سنوات.. وقطع صوت رالف حبل أفكارها:

ـ إذاً.. لقد تذكرتي. أخبريني يا كاتي هل تتذكرين كل شيء حول تلك الليلة، أم ما تريدين أن تتذكريه فقط؟

ودفعت عنها شبح الذكريات، وأغلقت الكتاب وجلست:

ـ أتذكر فقط كم أنا شاكرة لأنني لم أصبح مجرد ملاحظة في كتاب ملاحظاتك الأسود. أنا واثقة أنني تخلصت بسهولة أكثر مما استطاعته النساء الأخريات منك. واللواتي كن يتدافعن للوصول إليك.

ـ وهل أنت غيورة يا حلوتي؟

كان في صوته الناعم رنة سخرية.

وقالت كاترين بحدة وهي تقف على قدميها:

ـ أمر مقرف. نهارك سعيد سيد كوينتين.

وسارت على الرمال، بعد أن جمعت أغراضها، ورأسها مرفوع إلى الأعلى، ثم شهقت عندما اضطرت إلى الاستدارة بقوة، وضاقت عيناها لمنظر وجه رالف الغاضب.. وقال بغضب:

ـ أيتها المغرورة الصغيرة الفخورة بنفسها. أنت لم تصبحي كتلة ثلج من الخارج فقط بل من الداخل أيضاً! سيأتي عليك يوم يجعلك رجل تركعين على ركبتيك، وسأكون موجوداً لأنني سأكون ذلك الرجل يا حبيبتي كاترين..

ـ أنت مجنون.

وحاولت أن تخطو إلى الخلف، وقد لاحظت كم أن الشاطىء مهجور، ولكن قبضة رالف التي تكسر العظم منعتها من أية فرصة للهرب. فقالت:

ـ وماذا عن ذلك الوداع المؤثر بينك وبين باربرا دانتون تلك الليلة؟ لقد بدا بالتأكيد أنكما لستما مجرد صديقين. لذا التصق بها ودعني وشأني!

ونظر إليها رالف بتعبير غريب على وجهه.

ـ إذاً.. هذا هو السبب.

واغتنمت كاترين الفرصة، وجذبت نفسها فجأة مبتعدة عنه وسارت متعثرة فوق الرمال، كل ما كان يهمها أن تبتعد عنه. ووصلت إلى سيارتها، وفتحت الباب وصعدت إلى الداخل وادارت المحرك بسرعة، ولكن لم يحدث شيء، فقد رفض المحرك أن يستجيب.

ـ أوه.. لا..

وتنهدت كاترين، وأخذت تدوس دواسة البنزين بقدمها، وأدركت أخيراً أن شيئاً لن يحدث فخرجت من السيارة، ولم يكن لديها أية فكرة عن العطل في السيارة إطلاقاً.

ـ مشكلة مع السيارة؟

ونظرت نحو طرف الرمال، حيث وقف رالف ويداه في جيوبه.

ـ لا ليس بالضبط.

وهزت كتفيها متظاهرة بعدم المبالاة.. لم يكن هناك مجال لأن تطلب منه المساعدة، وخاصة بعدما قالاه لبعضهما.

ـ هذا غريب، ولكن يبدو لي أن بطاريتك قد ماتت. حسناً إذاً لم يكن الأمر هكذا.. أراك لاحقاً.

واستدار مبتعداً نحو الماء. ونظرت من حولها إلى موقف السيارات

www.elromancia.com

الفارغ، وأدركت أنها قد تبقى هنا مدة طويلة قبل أن يظهر أي شخص آخر، هذا إذا ظهر أحد. فصرخت به:

ـ لا.. أرجوك انتظر!

ووقف رالف واستدار، ولكنه لم يتحرك نحوها، فأمر طلب المساعدة عائد لها.

ـ المحرك لم يدر، ولا أعرف ما به. ولا أعرف شيئاً عن السيارات.

ـ لو وافقت على النظر إلى سيارتك، ألن تظني أنني أستغلك؟

وهزت رأسها بارتباك وهمست «أرجوك».

ـ أرجوك ماذا؟

ونظرت إليه كاترين بتقطيبة متحيرة. فقال لها:

ـ عندما يطلب الناس خدمة من أحدهم، في العادة يقولون اسمه.

كان مصمماً على أن يجعل الأمر أصعب. وابتلعت ريقها، وهي تفرك بيديها أمامها وتنظر إلى الأرض. وهمست:

ـ أرجوك رالف.

كانت لا تزال تنظر إلى الأرض عندما اقتربت منها قدمان، وامتدت يدان لترفعا ذقنها إلى الأعلى:

ـ هل كان الأمر صعباً؟ إنه اسم سهل، حروفه واضحة، وليس كما تلفظين اسماً صعباً.

وبدت ابتسامة خفيفة على فمها، فوضع رالف يده على كتفها دون تكليف وأدارها:

ـ تعالي.. لنلقِ نظرة على سيارتك.

ودخل السيارة ثم فتح الغطاء، وتمتم بغضب:

ـ هل أقفلتي باب سيارتك قبل أن تنزلي الى الشاطىء؟

ـ لا.. القفل يعلق أحياناً، لذا لا أهتم بإقفاله.

ـ حسناً يا عزيزتي، يبدو أن أحدهم قد سرق بطاريتك.

وجذبها إلى الامام وأشار الى زاوية عند المحرك حيث بدت عدة شرائط مقطوعة.

ـ ألهذا لم يدر المحرك؟

ـ صدقيني البطارية مهمة جداً. مثل البطارية في الراديو والمسجلة.

ـ أنا لا أحاول أن أبدو غبية. ولكن كل ما أعرفه عن السيارة هو أن أضع فيها البنزين والزيت، وما تبقى يتكفل به الميكانيكي. ماذا سأفعل الآن؟

ـ عليّ أن أجلب لك بطارية لإدارتها..

وأغلق غطاء السيارة واستدار نحو بابها الأمامي، والتقط حقيبة كاترين ومفاتيحها وأقفل الباب من الداخل وصفقه. ورأى الحيرة تعلو وجهها فقال:

ـ لن أتركك هنا لوحدك... تعالي...

وتابع سيره دون أن ينظر وراءه، وهو لا يزال ممسكاً بحقيبتها ومفاتيحها فصاحت محتجة وهي تجري وراءه:

ـ ولكن سيارتي!

ـ أشك في أن يحاول أحد سرقتها، إلا إذا أتى برافعة معه.

وأدركت أنه لن ينتظرها أو حتى يبطىء من سيره. فأخذت تركض للحاق به.

ـ أين أنت ذاهب؟

ـ اعتقدتك ترغبين في أن أوصلك. عربتي مركونة بعيداً عن هنا.

بعد عدة مئات من الأمتار، قاد رالف كاترين إلى دراجة كبيرة.

ـ آمل أن لا تمانعي بتوصيلة تحت الريح.

وأدار المحرك ثم أعطاها حقيبتها.

ـ اصعدي خلفي وتمسكي بوسطي، خذي البسي خوذتي..

ودون ان تتكلم وضعت الحقيبة على كتفها، وركزت الخوذة فوق رأسها ثم أخذت نفساً عميقاً وصعدت خلفه.

ـ ضعي ذراعيك حول خصري. ولا تقلقي.. فليس هناك فرصة أمامي لمهاجمتك في هذا الوضع.

وأمسكت كاترين أنفاسها وقد بدأ الموتوسيكل يسير بسرعة. ولم تكن متعودة على هذه السرعة دون حماية جسم السيارة. وصرخ بها رالف:

ـ استرخي! وإلا سنقع معاً بالتأكيد... ميلي عندما أميل.

ـ لم أركب واحدة مثلها من قبل.

وبعد بضع دقائق تمكنت من الاسترخاء، ونظرت من حولها، لتفاجأ بأنهما ذاهبان في طريق تبعد أكثر عن تشارلستون بدلاً من الاتجاه إليها، فصاحت به:

ـ أنت ذاهب في الاتجاه المعاكس.

ـ لا.. لا تهتمي وتمتعي بالمناظر من حولك.

وتابع رالف سرعته لنصف ساعة أخرى حتى توقف عند منزل ريفي تحول إلى مطعم. وقال لها ضاحكاً:

ـ لا نفع من عطلتك إذا فسدت كلها. ويجب أن تأكلي في مكان ما، فلماذا لا يكون هنا.

ـ ولكنني أرغب في ترتيب مظهري أولاً..

وبدا على رالف الراحة، وكأنه كان يتوقع الرفض. وانتظرها في ردهة المطعم إلى أن خرجت من غرفة السيدات، وقد مشّطت شعرها وتركته مسترسلاً حول وجهها، وأضافت قليلاً من أحمر الشفاه.

وقادتهما المضيفة إلى طاولة قريبة من نافذة كبيرة تطل على حقل مليء بالعشب والزهور. وقال رالف وهو ينظر إلى لائحة الطعام:

ـ أرجو أن تكوني جائعة.

ـ لم يكن لديّ الوقت لأفطر.

وطلبت طعاماً بحرياً مع سلطة، بينما اختار رالف اللحم والسلطة. ثم التفت اليها بعد أن ذهبت الساقية:

ـ أعتقد أن ليس من واجبك أن تكوني حاضرة لشرب الشاي مع ماغي.

ـ إنها تترك الأمر لي.. ماغي لطيفة جداً، ولا ترغب في أن أشعر وكأنني أجيرة. مع أن السيدات الأخريات ينظرن إليّ هكذا بالتأكيد.. لا فرق عندي، طالما نادراً ما أقابلهن.

ـ كان عليّ أن أحضر إحدى هذه الحفلات مرة، لم أشاهد في حياتي مثل هذا الحشد من السيدات العجائز. محبات الثرثرة. وبعد عشر دقائق سمحت لي ماغي بأن أتهرب. ربما خشيت أن أفعل شيئاً يصدمهن. وربما كنت سأفعل، فقط لأعرف ما هي ردة فعلهن.

ـ لقد قضيت العديد من عطل مدرستك مع ماغي... أليس كذلك؟

ـ فعلاً.. إنها تشفق عليّ. لديّ أربع شقيقات أصغر مني، وحسب ما يقولون، لم يكن من السهل العيش معي لأنني لا أساعدهن حتى بدأن يتعرفن إلى الشبان، وبدأ أصدقائي يبدون طيبين معهن والعكس صحيح. كان الضجيج والجنون يعم المنزل ووالدي كان يقول إن من الأفضل لهن أن يتزوجن خطيفة، فهو لا يستطيع تحمل مصاريف ثلاث زيجات. إحداهن الآن متزوجة ولها طفلة، والأخرى عروس جديدة، والاثنتان الباقيتان تلعبان دورهما على الشبان المساكين.

ـ لا بد أن الأمر رائع أن تعيش في عائلة كبيرة.

ـ هذا صحيح... فجدك هو من ربّاك.

ومال إلى الأمام وأمسك بيدها، وتشابكت أصابعهما:

ـ مسكينة يا كاتي الصغيرة.

صوته كان لطيفاً ولا أثر للسخرية فيه. ولكنها لا تستطيع أن تسمح له بأن يؤلمها مرة أخرى.. فقالت له:

ـ في الواقع، وجود أخوات لك فقط من صالحك. ما كان عليك أن تقلق في مشاركة غرفتك أو أشيائك مع شقيق.

ـ أنت محقة.. فالمشاركة في الحمام كانت تكفيني!

وحدّق بها بعينين مفكرتين وتابع:

ـ عادة أنت باردة وبعيدة. وأستطيع أن أفهم هذا عندما تكونين مع ماغي. ولكن ماذا تفعلين عندما تكونين بعيدة عنها؟

هل تذهبين الى مكان هادىء مع كتاب فقط، دون أية تسلية أخرى؟

ـ عملي يأتي في الدرجة الأولى.

ـ لا أصدقاء، ولا أحباب؟

ـ ليس لدي الوقت.

ـ ليس هناك رجل غبي لدرجة أن لا ينظر اليك، فأنت امرأة جميلة يا كاتي، فاتنة وذكية ومرغوبة جداً. أنا أملك ذاكرة ممتازة.

وقالت له بصوت خفيض، غير راغبة في السماح للذكريات بأن تعود:

ـ هل نغيّر الموضوع.. أرجوك؟

ولاحظ حالتها المتوترة، فبدأ بمناقشة أمر التحضير الحالي الذي يقوم به لكتابه الجديد. وانتظر إلى أن استعادت كاترين سيطرتها على نفسها، واقترح ان يذهبا.

بعد ربع ساعة على انطلاقهما بدأ دوران المحرك يتقطع، فأخذ رالف جانب الطريق فوراً ليتوقف، فسألته كاترين:

ـ ما الخطب؟

ـ لو كنت أعلم لكان الأمر أسهل عليّ بإصلاحه. انظري، آسف لأنني صرخت بك هكذا. لماذا لا تجلسين قليلاً على العشب بينما ألقي نظرة، وآمل أن لا يستغرق هذا طويلاً.

وتسلقت كاترين تلة صغيرة وجلست على العشب ووضعت قدميها تحتها، وبسقوط شمس ما بعد الظهيرة عليها وجدت صعباً أن تبقى مفتوحة العينين، فاستلقت على ظهرها، مستخدمة حقيبتها كوسادة وأغمضت عينيها وعندما استفاقت كانت الشمس قد أصبحت منخفضة كثيراً في السماء، ونظرت من حولها ودهشت لرؤية رالف مستلقٍ على مقربةٍ منها، وعيناه مقفلتان وكأنه نائم، ولكنه لم يكن كذلك.

ـ لم أشأ إزعاجك، لقد بدوتِ هادئة جداً.

ـ هل كان الأمر خطيراً.

ـ شريط مقطوع.

ـ أعتقد أن علينا متابعة طريقنا إذاً...

واستدارت لتلتقط حقيبتها، ولكن يدا رالف أطبقتا عليها تمنعانها من الحراك.

ـ وهل ترغبين حقاً في الذهاب الآن؟

واستطاعت كاترين أن ترى عينيه وترى فيهما السؤال الذي تطرحانه.. وشعرت أن الوقت قد توقف ويداه تزحفان من حولها، وابتسم قائلاً:

ـ هل أنت خائفة مني يا كاتي؟

ـ أنت.. أنت تعلم أنني لا أحب هذا الاسم.

ـ الآن، بقدميك العاريتين، والعشب على ثيابك، وشعرك مبعثر بشكل جميل، وعيناك لا تزالان ناعستان تذكّريني بكاتي أكثر من كاترين..

- أرجوك لا تفعل.

ولم تكن واثقة إذا كان اضطرابها سببه كلماته أم لمسته لها. وبدا لها أنه قد مرّ عليها ساعات بدلاً من لحظات قبل أن تشعر بذراعيه وقد أحاطاها بالكامل. وشعرت برغبة جارفة لأن تشعر بقربه. وأن يحتويها بين ذراعيه وكأنها تعني له كل شيء. لقد مضى وقت طويل منذ أن احتواها بين ذراعيه. إنه شعور عظيم! لقد أعاد كاترين إلى الوراء عبر الزمن ولم تكن على أرض عشبية بل على رمال الشاطىء. وفجأة بعد أن أدركت إلى أين تقود أفعاله هذه، وأدركت أيضاً أن استسلامها أصبح وشيكاً، سحبت نفسها عنه صارخة. واستقام رالف وجلس، وقد حيّره تصرفها هذا.

- لماذا يا كاتي؟ لقد كنت متجاوبة منذ لحظات.

وهزت رأسها، دون أن تنظر إليه، ووقفت ببطء على قدميها ونزلت عن التلة. كان رأسها إلى الأسفل بينما كانت تنتظره.

بعدما جلس رالف في مقعده، جلست وراءه دون أن تقول كلمة. الرحلة إلى المنزل كانت قصيرة وصامتة. ونزلت كاترين واستدارت لتواجه وجه رالف الصارم كالحجر.

- شكراً لك على الغداء والتوصيلة.

وكرهت نفسها للطريقة التي بدا فيها صوتها وكأنها تلك الفتاة المؤدبة التي تربت على أن تكون هكذا.. وقال لها بصوت بارد:

- سأتدبر أمر تصليح سيارتك.. وإذا سألت ماغي عني قولي لها إنني ذهبت عند صديق لي، ولا أعرف متى أعود إلى المنزل.

- هل أنت ذاهب عند باربرا دانتون؟

وكرهت نفسها ثانية لهذا السؤال. ونظر إليها نظرة باردة وقال:

- إنها دافئة وترغب بي كثيراً.

وأطلق لدراجته العنان دون أن ينظر خلفه.

٤ ـ أصغر من أن تحب!

سرّت كاترين لأن ماغي كانت تتناول عشاءها في الخارج تلك الليلة، تاركة إياها لأفكارها.

بعد أن تناولت وجبة خفيفة، حملت فنجان القهوة وخرجت إلى الحديقة لتجلس على أحد المقاعد تحت ضوء القمر...

لماذا أعاد رالف ذكرى تلك الليلة منذ سبع سنوات؟ ما فعله كان أن حرّك السكين في الجرح وأعاد الذكريات المريرة، التي كان من الأفضل نسيانها. كانت، بكبحها لمشاعرها طوال هذه المدة، قد نسيت كيف يكون الشعور بالرغبة لرجل، ولكن هذا الشعور بدأ في الظهور على السطح ثانية، وعليها أن توقفه قبل أن يفوت الوقت.

ذلك الصيف كان مثالياً لكاترين، على الرغم من أنها لم تكن ترى رالف كثيراً، كما تريد، وكانت عادة تستطيع الخروج مرة في الأسبوع أو أكثر. والخروج بشكل دائم كان يشعرها بالخوف من أن يراها احد

ويسبب ثورة غضب جدها. ولكنها لم تكن تدري، أن تصرفاتها السعيدة أكثر من المعتاد، وعادة أن تدندن لنفسها وهي تقوم بعمل البيت، إضافة إلى بريق عينيها، كان قد أثار ريبته. وعند نهاية الصيف، كانت تتخوف من اليوم الذي سيقول لها فيه رالف إنه سيغادر تشارلستون، أو، وهذا الاسوأ، أن يغادر دون أن يقول لها، وعندما ذكر لها حفلة شواء عند الشاطىء في الأسبوع القادم، قبلت كاترين الدعوة بشوق. كانت قد تعودت صحبته، وتتوق إلى أي وقت تقضيه معه.

وقال لها جدها، عندما ذكرت له أنها ستحضر حفلة شواء في منزل بيتي:

ـ لن تذهبي. لقد تركتك على حريتك، لمصلحتك هذا الصيف بدلاً من الاصرار على بقائك في المنزل والاهتمام بعملك.

ـ ولكنني أنجزت كل ما لديّ من عمل! وانا لا أذهب إلى أي مكان سوى عند بيتي وإلى المكتبة.

ـ ستبقين في البيت.. ولن أسمع المزيد، لقد أصبح لتلك الفتاة تأثير سيء عليك، وجعلتك ترغبين بأشياء تفوق مستواك، ولم تعودي كما كنت.

وكان هذا شيء تعرف كاترين أنه صحيح ـ ولكنها لم تكن تنوي أن تطيعه. وبما أن دعوة رالف كانت في نفس ليلة اجتماع جدها مع المستأجرين، فقد خططت لأن تتسلل من المنزل خفية، بعد أن يغادر المنزل. وبما أن نومه كان ثقيلاً، فبوسعها أن تتسلل عائدة دون أن يشعر بها.

ومرة أخرى استعارت ملابسها من بيتي، جينز وتي شيرت. اضافة الى هدية أعطتها لها، بيكيني أبيض.

وفي الأمسية المحددة، وصل رالف، وهو يرتدي بنطلوناً عند

الركبة، وتي شيرت مفتوح.. وأطلق صفرة إعجاب عندما رآها.. وابتسمت كاترين وهي تتوق لرؤية وجهه عندما يراها بالبيكيني الأبيض، الذي ترتديه تحت ثيابها.

وبعد ان وصلا إلى شاطىء «ديستو» اختار بقعة تمتد أمام تلة من الرمل لتعطيهما الخلوة المطلوبة. وسألها:

ـ هل ترغبين في الأكل أولاً أم السباحة؟

ـ السباحة.

ـ هيا بنا إذاً..

وخلع رالف قميصه وبنطلونه، وقال لها ممازحاً وهو يراها واقفة تنظر اليه.

ـ هيا أيتها السلحفاة البطيئة.

وشعرت كاترين فجأة بالإحراج لأن تخلع ملابسها أمامه. حركاتها كانت بطيئة ومرتبكة وهي تخلع «التي شيرت» ثم البنطلون.

وعندما رفعت عينيها لتلتقيا عينيه، صعقت لتوهج الذهب القاتم فيهما. وقال ببطء، وقد بدت خشونة غير معتادة في صوته:

ـ أعتقد من الأفضل أن نسبح في الحال.

وجرها فوق الرمال إلى الماء. وشهقت كاترين عندما لمس الماء البارد بشرتها، ولم يترك يدها إلا بعد أن غمرتهما المياه حتى وسطيهما، وأخذ يسبح بين أمواج المحيط، وغاص تحت موجة كبيرة، وتأخر ظهوره... فصرخت كاترين بقلق «رالف؟». ثم بدأ قلقها يتحول الى خوف «رالف!» واستدارت لتبحث في الموجة التي كانت تقترب من الشاطىء تحت شمس المغيب «رالف؟» وأحست بشيء بارد يمسك بقدمها، ويجذبها تحت الماء. وضحك رالف بعد أن ظهر فوق الماء.

ـ هل أخفتك؟

وشعرت بالارتياح لرؤيته مجدداً حتى أنها لم تدرِ ما إذا كانت سعيدة أم غاضبة.

ـ لا تفعل هذا ثانية، أبداً، أبداً.

واستدارت لتسبح باتجاه الشاطىء. فناداها رالف:

ـ أوه.. هيا عودي يا كاتي.. كنت أمزح معك.

وتجاهلته، وركضت إلى حيث فرشا مناشفهما، وأخذت منشفة صغيرة لتجفف شعرها.

ـ كنت أداعبك فقط يا كاتي.

ـ لم أكن متأكدة مما حدث لك هناك. كنت خائفة أن تكون تأذيت أو غرقت.

ـ أنا آسف يا كاتي، لم أقصد إخافتك.

ونظرت إليه لتفاجأ بأنه لم يكن ينظر إلى وجهها، بل إلى جسدها. فاحمّر وجهها بسرعة. واستدار رالف وهو يتنفس بصعوبة ومال إلى الأمام ليلتقط قميصها ويضعه في يدها، وبأصابع مرتجفة ارتدته من فوق رأسها، لتجد أن قماشه القطني قد التصق بجسدها المبلل. وقال رالف بصوت أجش، دون أن ينظر إليها:

ـ سأبدأ شواء اللحم.

وركعت أمام براد الثلج الصغير وفتحته، ولكنها كانت تبكي.. وتمتم رالف بشتيمة واستدار صائحاً:

ـ لأجل السماء يا كاتي.. أنت كبيرة بما فيه الكفاية لتعرفي عن حقائق الحياة.

ـ ولكنني من الواضح أنني لا أعرف شيئاً.

وتنهد، ثم تقدم نحوها، وركع على الرمال بقربها ومرر يده على ذراعها. فأجفلت وابتعدت عن لمسته الخفيفة. فقال لها:

ـ أحياناً أظن أنك لا زلت طفلة.

ـ معرفة كل النساء اللواتي ترافقهن بحقائق الحياة، لا تعني أنني أرغب أن أكون واحدة منهن. ولماذا يجب أن أكون واحدة أخرى في دفتر ملاحظاتك؟

ـ احذري... أو سأظنك غيورة. أحياناً أظن أنك لا تدركين مدى تأثيرك على الرجل.

ـ أنا؟

ونظرت إلى وجهه لتتأكد من معنى كلماته، بكل براءة، وهي غير مصدقة أنه يجدها مغرية. ورأت الارتباك في عينيه، فقال:

ـ انظري إلى المرآة يا كاتي.. أنت سيدة رائعة. سيقف الرجال في الصف لتتاح لهم فرصة معك.

ـ هل أنا حقاً جميلة يا رالف؟

وهمست بهذا بسذاجة، فابتسم، وأمسك بوجهها بين يديه.

ـ أنت جميلة جداً. وما يخيفني أنك لا تدركين هذا.

ـ ولكنك تراني جميلة.. أليس كذلك؟

طوال ذلك الصيف، لم يفعل رالف سوى أن يطبع قبلة أخوية على خدها، وكانت تتمنى بأن لا ينظر إليها نظرة أخوية.

ـ أجل.. هذا صحيح.

ومدّ يده إليها وجذبها نحوه، وقالت له بهمس وكأنها تتوسل إليه أن لا يعذبها «رالف!» ولم يردّ عليها بل تابع عناقه لها، فأخذت تخاف من المجهول. الكتب التي قرأتها والأفلام التي شاهدتها، لم تكن قد حضّرتها لمثل هذا التدفق السريع للدم في عروقها، ولا للجفاف المؤلم في حنجرتها. وأغمضت عينيها وقد نسيت كل تحذيرات جدّها من أن الرجال أشرار. وكأنما قرأ رالف أفكارها فترك يديها، ومع كل تحذيرات جدها، لم تكن خجلة مما تفعل، فقد بدا هذا مع رالف أمراً لا خوف منه. وقال لها بصوت أجش «هذا كله خطأ يا كاتي»

فاحتجت قائلة «لا، هذا ليس خطأ».

وفجأة دفعها رالف عنه بيدين قاسيتين، وقفز واقفاً. وأسرع نحو الماء، وبدأ يسبح بضربات قوية وسريعة. وجلست، غير مصدقة لردة فعله الباردة الفجائية، جامدة حيث هي، دون أن ترى سوى نقطة سوداء في الماء، وهي تمسح دموعها بظهر يدها.

وعندما عاد، قال لها بصوت هادىء:

ـ كاتي... لم أقصد أن يحدث هذا.. أنا آسف.

ـ أرجوك لا تعتذر... لم يحدث شيء.. على كل، كلانا ناضج.

ولكن هذا بالضبط ما جعله يتوقف، فهي لم تكن أبداً ناضجة.

ـ هل نحن فعلاً ناضجان؟ أحياناً أفكر أنك فتاة ساحرة مثالية، لا لزوم لأن أكون معها. ومهما يكن الأمر، أنا كبير في السن عليك. وأنا أخاف أن أرعبك.

ـ أنت لست كبيراً جداً. ما يهم ليس العمر بل ما يشعر به الإنسان في داخله.

ـ أظن من الأفضل أن نأكل.. سأضع اللحم على النار.

واستدار مبتعداً عنها نحو النار.. وبقي هادئاً بشكل غريب وهما يتناولان الطعام. وما إن أنهيا الطعام، حتى بدأ رالف بجمع الأغراض دون أن يقول كلمة، ولا حتى نظر إلى ناحيتها. وساعدته بصمت، ونفضت البطانيات من الرمل ولفتها بترتيب.

ولم يزد رالف من سرعة السيارة وهما عائدان إلى منزلها، وكلما اقتربا من المنزل اكثر زاد توتر الجو بينهما. وعندما توقفت السيارة أمام المنزل، بقي جامداً يحدّق أمامه، ويداه مثبتتان على المقود.

ـ أنا مضطر للسفر إلى المانيا بعد بضعة أسابيع.

كلماته الجافة كسرت الصمت بينهما بقوة. واستوت كاترين في

جلستها، الدنيا تضج في أذنيها.. هذه هي النهاية إذاً، لقد خطط رالف لأن تكون هذه الليلة، ليلة الوداع.

ـ من أجل كتاب آخر؟ كم هذا مثير لك.

ـ اللعنة! أنا لا أريد الذهاب! ولكن هذه الخطة قد وضعتها منذ أشهر، حتى قبل أن ألتقي بك.

ـ أوه.. فهمت.

ولم ترغب كاترين في أن تنهار أمامه، ليس قبل أن تدخل غرفتها وتغلقها عليها، وتبدأ البكاء.

ـ لا.. أنت لا تفهمين.

ـ حسناً.. ارسل لي بطاقة إذا أتيحت لك الفرصة. لقد أرسلت لي بيتي بطاقات من انكلترا وفرنسا، ولكنني لم أتلق أية بطاقة من المانيا.

كان عليها أن تخرج من السيارة قبل أن تحرج نفسها. وقال لها رالف متوسلاً:

ـ كاتي.. استمعي إليّ أرجوك.

وفتح باب السيارة فجأة وجاءها صوت رجل يزعق.

ـ إذاً، أنت هنا!

وتفاجأت كاترين وهو يجرّها خارج السيارة. وشحب وجهها وهي تلتقي بقسمات وجه جدها العاصفة. لم تكن تتذكر أنها رأته غاضباً هكذا من قبل، وعيناه تحدّقان بها ببرود. ثم وجّه انتباهه إلى رالف، الذي خرج بسرعة من السيارة. وقال غاضباً:

ـ انتظر لحظة من فضلك. لا أعلم من تظن نفسك، ولكن لا سبب عندك حتى تعاملها هكذا.

كان جسده متوتراً، وهو على استعداد للقتال. وصرخت كاترين وهي تبكي:

ـ لا يا رالف، إنه جدي.

www.elromancia.com

وصرخ جاك بغضب:

ـ لديّ كل الحق أيها المغرور الشاب. أنا لست جدها فقط، بل وصيها الشرعي. وبكل الحق أستطيع تسليمك للبوليس.

ـ البوليس؟

ـ أجل.. لاغوائك قاصرة. أم انها لم تزعج نفسها بإخبارك أنها في السابعة عشر؟

وأغمضت كاترين عينيها المليئتين بالدموع، وقد كرهت دهشة الصدمة التي ظهرت على وجه رالف.

ـ هل هذا صحيح يا كاتي..؟ لماذا؟..

وصاح به جاك بغضب:

ـ اذهب من هنا. وابحث لك عن فتاة أخرى، ولا تحاول أبداً أن ترى كاترين ثانية أو سأبلّغ البوليس.

وتوسلت إليه كاترين باكية:

ـ رالف أرجوك، صدّقني.. لم أفعل هذا عن قصد.

وأخذ جدها يسحبها في الممر باتجاه المنزل. واستدار رالف وركب سيارته وانصرف دون أن ينظر إلى خلفه.

وبعدما دخلا المنزل صاح بها جدها:

ـ هكذا إذاً، لقد اصبحت كاذبة، تماماً كما كانت عليه امك. منذ متى وأنت تقابلين هذا الرجل؟

ـ كيف تفعل بي هذا؟ أنا لم أفعل شيئاً خاطئاً.

وضاقت عينا العجوز بالريبة:

ـ هل لمسك؟ هل فعلتي شيئاً ما كان يجب أن تفعليه؟ هل فعلتي؟ ماذا فعل معك؟

ـ لا شيء! رالف وأنا لم نفعل أي شيء خاطىء.

لأول مرة ترفع صوتها في وجه جدها. ففي نظرها لا شيء فعلاه ممكن أن يكون خاطئاً.

ـ اذهبي إلى غرفتك وارتدي شيئاً لائقاً.

وضغطت بيدها على فمها لتمنع البكاء، واستدارت راكضة نحو غرفتها، وصفقت الباب وراءها. وتجاهلت كل أوامر جاك، ورفضت أن تغادر الغرفة، أو حتى أن تفتح الباب. واستلقت على السرير تبكي. رالف سيسافر، ولن تراه ثانية. ولن تستطيع أن تشرح له لماذا لم تخبره بعمرها الصحيح، أو كم جعلها تشعر بأنوثتها وجمالها، أو حتى تلك المشاعر التي لم تفهمها بعد.

وبكت كاترين، بكل روعة حب المراهقة، الذي بدأت تكتشفه، والذي فقدته الآن. بكت لخسارتها رجل بدأت تهتم به.

في الصباح التالي كان جاك بارداً ومنطوياً على نفسه، وقال لها متجهماً:

ـ لن تري ذلك الرجل ثانية يا فتاة. إنه ليس لأمثالنا، إنه لأمثال ابنة ماكلاود. وليس لحفيدة مزارع.

ـ وكيف لك أن تعرف؟ إنك لم تعط رالف فرصة للتحدث معك. إنه رجل رائع.

ـ كان يجب أن أبلّغ البوليس! إنه يفسد أخلاق طفلة. ولكن الأمر لا يهم الآن، بما أنك لن تريه ثانية. من الواضح أنك نسيتي كل ما علّمتك إياه، لذا عليّ أن أراقبك أكثر. أنت مثل أمك يا فتاة. وسينتهي بك الأمر كما انتهت إليه، وتتزوجين الرجل غير المناسب، والذي أخذها في النهاية إلى حتفها.

ووقفت كاترين ببطء. وقالت بصوت هادىء:

ـ اسمي ليس «فتاة» يا جدي. اسمي كاترين.. ولمرة واحدة، أرجوك هل تناديني به؟

www.elromancia.com

واستدارت، ثم ولّت هاربة من الغرفة.

ومرت الأيام دون أن تسمع شيئاً عن رالف... وزادت خيبة أملها.. ألم تكن تعني له شيئاً سوى مساعدته على التغلب على ضجره عندما يزور عمته؟ وتلاشت آمالها نهائياً عندما تلقت مخابرة من بيتي تعلمها فيها أن رالف قد سافر إلى المانيا في اليوم السابق.

وبما أن كاترين قد تلقت صدمة من أول رجل أحبته، فقد شعرت بالفراغ والجفاف في مشاعرها. لم تكن متأكدة من أنها أحبته فعلاً أم لا، لأنها لم يكن أمامها الوقت الكافي لتعرف هذا، ولم يعد لديها الآن أي شيء لتعطيه لأحد. وبنت كاترين جداراً من حولها ورفضت بأن تسمح لأي كان أن يقتحمه. ولن تسمح بأن تُؤذى من جديد.

وعادت أفكارها بها، ببطء، إلى الحاضر، وغادرت كرسيها. ودخلت المنزل ثم صعدت إلى غرفتها، وبعد أن ارتدت ثياب النوم، جلست في مقعد أمام النافذة، رافضة أن تعترف لنفسها بأنها تنتظر سماع صوت هدير دراجة رالف. ولكنها مع ذلك انتظرت حتى ساعات الصباح الأولى، ولكن الصمت بقي كما هو.

وعندما انسلت اخيراً بين أغطية الفراش، قاومت رغبة جامحة للبكاء على وسادتها، وعادت إلى غضبها كي تستعيد رباطة جأشها.. لن تسمح لرالف بأن يؤلمها ثانية.. لن تستطيع.

☆ ☆ ☆

٥ ـ ملكة الثلج

لم يقترب رالف من كاترين لعدة أيام تلت. كان يترك المنزل في وقت متأخر من بعد الظهر ولا يعود قبل ساعات الصباح الأولى، ومع ذلك كانت تجد صعوبة في النوم إلى أن تسمع هدير دراجته.

وعادت إليها سيارتها في اليوم التالي لليوم الذي كانا فيه معاً، ببطارية جديدة وقفل جديد للباب، مغسولة ولامعة. وعندما طلبت الفاتورة من الرجل الذي أتى بها، أخبرها بأن السيد كوينتين قد تولى أمرها.

وكي لا تلتقي به ثانية، كتبت له مذكرة شكر مؤدبة تسأله فيها عن التكاليف لتستطيع ردها، ودفعت المذكرة تحت بابه. ولكنها لم تتلق الرد.

وحاولت كاترين أن تستعيد سيطرتها على نفسها التي كانت دائماً فخورة بها، ولكنها وجدت صعوبة في هذا. وفي إحدى الأمسيات

www.elromancia.com

لاحظت أن سيارة باربرا المرسيدس متوقفة خلف المنزل، ولكنها أبعدت التفكير بالمرأة من ذهنها. وكانت مستغرقة في النوم في إحدى الليالي عندما أيقظها صوت رنين الهاتف قرب سريرها.

ومدّت يدها وعيناها لا زالتا مغمضتين، وتمتمت في السماعة:

ـ مم.. آلو...؟

ـ أنا آسف آنسة ويزدوم..

كان صوت مالكولم الحارس، يعتذر.. خلال الليل، كل المكالمات تتحول إلى هاتفه.

ـ لقد اتصل بي المستشفى، مستشفى تشارلستون العام، بالنسبة للسيد كوينتين. يبدو أنه قد حدث له حادث، ويصرّون على الاتصال بك بدلاً من السيدة هامبسون، كي لا يزعجوها.

ـ حادثة؟ شكراً يا مالكولم.. سأذهب إلى هناك بأسرع وقت ممكن.

ورمت الغطاء عنها، وأسرعت خارجة من السرير. واخذت الأفكار السوداء تهاجمها حول ما قد يكون حدث لرالف، وهي ترتدي ملابسها على عجل. ومشّطت شعرها بسرعة وأخذت مفاتيح سيارتها وركضت نازلة السلم.

لم تتذكر كيف وصلت إلى المستشفى، كانت الشوارع مهجورة. وقادت سيارتها بسرعة جنونية في شوارع المدينة في ساعات الفجر الأولى. وبعد أن أوقفت السيارة، أسرعت إلى غرفة الطوارىء. وقالت للممرضة على طاولة الاستعلامات.

ـ أنا الآنسة ويزدوم. لقد قيل لي إن رالف كوينتين هنا للمعالجة إثر حادثة. كيف حاله؟

ـ أجل آنسة ويزدوم. كنا نتوقع قدومك. اجلسي هناك للحظات سيخرج السيد كونيتين بعد قليل...

ـ إذاً، فهو بخير...

وتنهدت بارتياح. ولكنها شعرت باضطراب لم يمكنها من الجلوس. فأخذت تذرع غرفة الانتظار، محاولة تهدئة مخاوفها. وكلما فتح الباب المزدوج المؤدي إلى غرف العناية، كانت تنظر بأمل، ويخيب أملها عندما لا يكون الخارج هو رالف.

ـ آسف لإيقاظك يا كاتي...

والتفتت بسرعة، والارتياح ظاهر على وجهها قبل أن يتحول إلى صدمة. كان رالف جالساً على كرسي متحرك، ويده اليمنى مربوطة إلى عنقه، ووجهه شاحب بشكل غير طبيعي، وكدمة على خده الأيسر ونظرت كاترين إلى خلفه بازدراء نحو باربرا المشعثة المنظر وهي تسير وراءه.

ـ لقد طلبت منهم الاتصال بك بدل ماغي لأنني لم أرغب في إزعاجها. وأنا سعيد لأنك أتيتي.

ونظرت كاترين ببرود إلى شكل باربرا المشعث وعرفت تماماً لماذا لم يرغب في أن تحضر ماغي. لقد كان يعلم أن عمته لا تحب هذه المرأة الشقراء. وشعرت بشيء يضغط على قمة معدتها، لمعرفتها أن رالف كان يمضي معظم لياليه مع باربرا. وقالت له ببرود:

ـ هذا جزء من عملي سيد كوينتين.

ـ إذاً لن تمانعي بإيصال السيدة دانتون إلى منزلها في طريقك... هل تمانعين؟

ـ بالطبع لا أمانع.

وسارت أمامهما إلى السيارة، وبينما كانت تفتح الباب إلى جانبها نظر إليها رالف وقال ساخراً:

ـ ألا زلتي لا تقفلين الأبواب؟

والتفت إلى باربرا

ـ اجلسي في المقعد الخلفي.. ساكون مرتاحاً أكثر في المقعد الأمامي.

ـ ولكن رالف.. حبيبي..

ـ إلى الخلف باربرا

وأعطت الممرضة علبة دواء ولائحة من التعليمات لكاترين قائلة «إنها أقراص ضد الألم.. سيحتاج إليها عندما يزول أثر المخدر. ويريد الطبيب أن يراه بعد أسبوع».

وبعدما غادروا موقف السيارات سألته كاترين:

ـ ماذا حدث؟

ـ لقد دخلت أحد المنعطفات بسرعة..

ـ لا بد أنك محظوظة جداً سيدة دانتون. أنا لا أرى أي عظم مكسور فيك.

صوتها كان جافاً، وهي تنظر في المرآة إلى المرأة الشقراء.

ـ لديّ العديد من الكدمات يعوّضني عن الكسور. كذلك كسرت ظفرين!

وصرّت كاترين بأسنانها كي تبقى صامتة.. كيف يمكن لشخص ما أن يكون سطحياً إلى هذه الدرجة؟ وقادت السيارة بسرعة فائقة لتصل إلى البناية الفخمة التي تسكن باربرا إحدى شققها. وقال لها رالف بابتسامة:

ـ أظن أنك تفهمين لماذا لا أستطيع مرافقتك حتى الباب.

ـ هل سأراك غداً؟

ـ ليس قبل عدة أيام.

وقبل أن تغادر السيارة عانقت رالف وكأنهما لوحدهما، مما أثار اشمئزاز كاترين، فأدارت وجهها لتنظر خارج النافذة..

وقالت لها باربرا بصوت يخلو من الصدق:

ـ شكراً لك لإنقاذنا آنسة ويزدوم.

ـ لا مشكلة، سيدة دانتون.

وقالت كاترين، بعد أن استدارت عند المنعطف:

ـ لقد أعطتني الممرضة أقراصاً للألم، سوف تحتاجها عندما تصل إلى المنزل... أين دراجتك؟

ـ في أقرب محل للخردة.

وابتلعت ريقها بصعوبة، ما يعينه رالف واضح جداً، وقالت بصوت منخفض:

ـ أنت محظوظ جداً..

ـ أجل.. أعتقد هذا.

وبقيا صامتين ما تبقى من الطريق. وبعد أن أوقفت السيارة خلف المنزل، قال لها وهما يصعدان السلم:

ـ ساكون ممتناً لو صعدتِ معي إلى شقتي..

وعندما رأى التردد على وجهها أضاف:

ـ انظري.. لديك أقراص الألم.. وأنا تعب جداً ومتورم، لذا لن استطيع لمسك..

ـ ولكنك بحاجة للراحة.

وفتحت الباب، وفتشت عن زر الإنارة. وسار رالف ببطء إلى الداخل، وانهار على المقعد. وأغمض عينيه:

ـ أنا بحاجة إلى النوم. اتعتقدين أن بإمكانك نزع هذا القميص عني؟

وجلست على المقعد بقربه، وأخذت تفك أزرار القميص بحذر، محاولة ان لا تؤلمه. ثم ساعدته على خلعه، ومتحاشية أن تصطدم بذراعه المصابة وهي تخرجها من كم القميص.

ـ عليك أن تخلع ما تبقى بنفسك.. سأحضر كوب ماء لتتناول

الدواء.

وتركته متوجهة إلى المطبخ. وبعد دقائق قالت له وهي تعطيه الأقراص وكوب الماء:

- يجب أن تأخذ قرصين كل أربع ساعات حسب الحاجة.

وابتلع الأقراص، ثم شرب الماء بسرعة. فسألته:

- هل أنت بحاجة لشيء آخر؟ عليك أن ترتاح.

- لست بحاجة لتعليمات يا كاتي. كل ما أحتاجه بعض المواساة، وأنت لا تعرفين كيف تقدمينها. لذا عودي إلى غرفتك الآمنة وادفني نفسك فيها. سأكون بخير لوحدي.

وتراجعت كاترين، وقد آلمتها كلماته، واستدارت نحو الباب وقالت بصوت منخفض:

- إذا احتجت إلى شيء.. اتصل بي.

- كاتي..

والتفتت فشاهدت خطوط الألم بادية في وجهه، وابتسم:

- شكراً لمجيئك.. أنا ممتن لك حقاً.

وهزّت رأسها بصمت، وتابعت طريقها لتخرج..

في الصباح التالي، أحسّت كاترين بثقل جفونها وهي تهبط السلم. ولم تكد تصل إلى الأسفل حتى سمعت صوت ماغي المهتاج بوضوح:

- هناك وصف واحد لما فعلته ليلة أمس يا رالف، وهو الغباء. لا أهتم أبداً كم أنت خبير بتلك الآلة اللعينة، لا يزال الأمر يبدو غباء. وكون باربرا دانتون معك لا يسهل الأمور.

- ليس لباربرا علاقة بما حدث.

واستطاعت كاترين أن تتصور ماغي وهي تذرع الشرفة بغضب،

فتوقفت، غير متحمسة لمقاطعة حديثهما، واخذت تسترق السمع دون خجل.

- بوجود كل النساء الجميلات والمناسبات في هذه المدينة، لماذا اخترت تلك المرأة؟ لست ادري.

- ومن تظنين أنها مناسبة؟

- هناك الكثير من الفتيات الجميلات.. حتى تحت أنفك، إذا حاولت أن تنظر جيداً..

- تحت أنفي.. أتعنين الآنسة ويزدوم؟

وأجفلت كاترين للهجته الساخرة.

- إنها جميلة وفاتنة. وأنا أعتبرها كابنتي.. بعد كل...

- كاترين الجميلة والفاتنة لها قلب من جليد... أتدرين ماذا يسميها الرجال؟ «ملكة ماغي الثلجية».

- هذا لأن الرجل المناسب لم يتقدم إليها بعد.

- أكيد ليس للنقص في المحاولة.. أتعلمين أن هناك رهان كبير على من سيكون أول رجل في حياتها؟ وهذا وحده يدفعني لعدم المحاولة.. تحدثي عن شيء فيه تحدي!

وغضبت ماغي، وصدر عنها ردّ لم تسمعه كاترين بالرغم من إصغائها.. وأجاب رالف ببرود:

- هذا كان في الماضي.. حتى أنني لست واثق أنها تستحق أن اجرّب. العديد من الرجال يعتبرونها أمر ميؤوس منه. ولا أستطيع معرفة السبب.

وصُدمت لسماع طريقة كلام رالف عنها، فأسرعت بالعودة إلى غرفتها. لم تكن لتحلم أبداً أن الرجال المحليين يمكن أن يكونوا قساة لدرجة المراهنة على من يجعلها تتجاوب معه. شخص واحد من المؤكد أنها لم تتوقع أن يعاملها هكذا.. رالف. على كل، هو

الشخص الوحيد الذي يعرف بأنها ليست كتلة من جليد! وشعرت بأنها على وشك البكاء، ولكنها تذكرت تعليق رالف الساخر حول محاولة تجربة حظه معها، وكأنها لعبة في «كارنڤال»! وبدأ غضبها يتصاعد. من يظن نفسه؟ حسناً، ستدع السيد رالف كوينتين يرى بعض الأشياء، قبل أن تنتهي منه! ولن يربح ذلك الرهان... وأخذت نفساً عميقاً، وعادت لتنزل السلم.

كان ماغي ورالف لا زالا على الشرفة عندما دخلت، وابتسامة زائفة على شفتيها. وقالت بصوت أجش وهي تجلس:

ـ صباح الخير...

ـ كنت أوبخ رالف على تصرفاته السخيفة فوق دراجته.

وقال رالف:

ـ أنا أعرف تماماً ماذا أفعل!

وتابعت ماغي كلامها

ـ رالف معتاد على التسابق بدراجته في كل البلاد، وكنت أعتبر هذا خطراً على الدوام. رياضة غبية.. حسناً، أتمنى فعلاً أن يكون هذا قد علّمك درساً.

وعادت ماغي لشرب قهوتها، فقال رالف:

ـ لقد تعلمت، بما أنني لن أستطيع القيادة أو الطباعة على الآلة الكاتبة لفترة طويلة.

وسألته كاترين، قبل أن تستطيع منع نفسها:

ـ وكيف ستعمل في كتابك الجديد؟

ـ سأستخدم آلة التسجيل، ولكن المشكلة أنها ستؤخرني عن الموعد المحدد.

وقالت ماغي ساخرة:

ـ كان عليك أن تفكر بهذا قبل أن تورّط نفسك.. بالطبع لو طلبت

من كاترين بكل أدب ولطف، فقد تساعدك قليلاً.

وكادت كاترين أن تدلق القهوة من فنجانها لدى سماعها اقتراح ماغي، واللمعان في عيني رالف جعلها تعرف أنه لاحظ اضطرابها. فقال بابتسامة خبيثة:

ـ يا عزيزتي الآنسة ويزدوم.. هل تمانعين في أن تساعدي معاقاً مسكيناً في عمله؟ سيكون هذا من أجل قضية خير... وبالطبع سأعوّض لك عن وقتك معي.

فتمتمت، خائفة من أن تنظر إليه كي لا تقرأ تعبير الانتصار على وجهه..

ـ أعتقد أن باستطاعتي أن أطبع لك على الآلة الكاتبة بعد الظهر.

ـ عظيم سأحضر المواد لك إذاً.

وتوترت أعصاب كاترين، وقد شعرت أنها علقت في فخ نصبه لها رالف. لقد خطط لهذا جيداً! وكان يعرف أن ماغي ستقترح هذا، بحيث لا يكون أمامها فرصة لأن ترفض.

بعد غداء سريع.. صعدت كاترين السلم الداخلي الى الطابق الثالث. وعندما اقتربت من الباب وجدته مفتوحاً. كان رالف جالساً وراء طاولته، وهو يخرج شريط تسجيل من المسجلة، ونظر إليها وهي تدخل. فقالت وكأنها تبرّر له:

ـ كان بابك مفتوحاً.

ـ لا أرى ضرورة لأن تقرعي الباب...

ونظر إلى شريطي تسجيل على الطاولة وأضاف:

ـ هناك الآن هذين الشريطين فقط، وأنا ممتن لك لمساعدتك لي.

ـ سأطبعها لك وأعيدها بأسرع وقت ممكن.

ـ لا تزعجي نفسك، أنا أعلم أن التزامك بعمل ماغي يأتي أولاً.

واستدارت لتقول له شيئاً ولكنها صمتت، فقال:

ـ هل هناك أسئلة حول الموضوع؟

وهزت رأسها بسرعة، وتابعت طريقها نحو الباب عائدة إلى مكتبها. ووضعت أول شريط في المسجلة، ووضعت السماعات على أذنيها، ثم أدارتها..

حتى على الشريط المسجل كان صوت رالف مفعماً بالحياة وكأنه يقف إلى جانبها. وتابعت الطباعة، واستطاعت بسهولة أن تلاحق كلماته، وأضاعت كل إحساسها بالوقت حتى طرقت الخادمة الباب لتذكرها أن موعد العشاء قد اقترب.

وسارعت كاترين للاستحمام وتغيير ملابسها، وعندما انضمت إلى المرأة المسنة في غرفة الجلوس وجدتها لوحدها.

ـ لقد أتت تلك المخلوقة وأخذت رالف للعشاء.

صوت ماغي كان متوتراً بعدم الرضى، فابتسمت كاترين ابتسامة لا تخدع أحداً:

ـ أنا واثقة أننا نستطيع تدبير نفسنا من دونه.

ولم تدرك أن صوتها كان يعكس بعض المرارة التي كانت تشعر بها. فقد غيّر رالف رأيه بعدم رؤية باربرا لفترة.. وقالت ماغي:

ـ أنا قلقة عليك.. يا كاترين.

ـ لا تحاولي لوي ذراعي يا ماغي.

ـ أنت بحاجة لرجل في حياتك.

واهتزت يد كاترين، وأراقت بضع قطرات من كوب الشراب في يدها وقالت بطريقة جافة:

ـ أنا لست بحاجة إلى أحد.

ـ لا تتسرعي برفضك، أنا وزوجي بقينا معاً حوالي ثلاثين سنة. وكان زواجاً دافئاً متماسكاً، من النوع الذي حسدنا عليه الكثيرون.

والنوع الذي ستحصلين عليه أنت، مع رجل طيب محب، وأطفال حولكما.

ـ هناك أناس ليس بين خططهم الزواج.

ـ أنت لست من النوع الذي يرضى بحياة وحيدة. لقد مرّ عليّ العديد من السكرتيرات، وأنت لستِ من النوع الذي قد يعيش عانساً.

فيما بعد، وقد تناولتا العشاء قالت ماغي:

ـ لقد عنيت ما قلته لك سابقاً يا كاترين.. أنت جميلة جداً لتعيشي حياتك لوحدك، ولك قلب دافىء متعطش للحب، ما عليك إلا أن تسمحي لنفسك بالتحرك قليلاً.

ـ القول أسهل من الفعل.

بعد أن ذهبت ماغي لترتاح الليل، أخذت كاترين تتنزه في الخارج. غير قادرة على مقاومة سحر هواء الأمسية الدافىء.

وخلعت حذاءها العالي الكعب وأخذت تتجول عارية القدمين وقد أمسكت بأطراف ثوبها الطويل في يدها.

ـ هل أنا حيّ وأتنفس؟ أيمكن أن تكون هذه الآلهة افروديت؟ أم انها فينوس وقد عادت إلى الأرض؟

واستدارت كاترين لتجد رالف واقفاً عند حافة الفناء المرصوف. فقالت:

ـ إنها ليلة جميلة لا يمكن قضاؤها في الداخل.

ـ ألم تقضي أمسية جيدة مع ماغي؟

ـ بل رائعة..

وسارعت لتغيير الموضوع:

ـ أتأخذ أقراص الدواء بانتظام؟

ـ لم أعد أحتاجها منذ الليلة الأولى.

وتوقف، لينحني ويلتقط حذاء كاترين:

www.elromancia.com

ـ ربما عليّ أن أدعوك ساندريللا.
ـ هل أستطيع أن استعيد حذائي لو سمحت؟
وتقدمت نحوه وهي تمد يدها:
ـ لقاء ثمن...

وأبعد عنها الحذاء، وانعكس النور من المنزل على وجهه وهو يحدق بملامحها الكلاسيكية، مركزاً نظره على فمها أكثر. وبدرت لها فكرة على الفور، بعد أن تذكرت الحديث الذي سمعته عند الصباح. كم سيكون سهلاً عليها أن تقوده، وأن تتركه يعتقد أنها واقعة في ما يسميه بالسحر الرجولي فيه، وعندما تجعله أليفاً يأكل من يدها: هوب! وكم ستتمتع بأن تجعل من سقوطه علنياً قدر المستطاع. سيكون هذا رهان لن يستطيع أبداً أن يكسبه!

ـ وماذا، سيكون الثمن، يا سيدي؟
ـ كنت أعتقد دائماً أن أصوات نساء الجنوب محبّبة للأذن، ومع ذلك يبدو صوتك أكثر موسيقية من غيره. مثل أغنية حورية البحر الأسطورية التي كانت تسحر البحارة: إنها خطيرة.
ـ تجعلني أبدو وكأنني شبح. هل أبدو كشبح الساكن السابق لهذا المنزل؟

ومدت يديها إلى الاعلى وكأنها تناجي القمر، وترك رالف الحذاء الفضي يقع إلى الأرض، وتقدم إلى الأمام، وقال:
ـ لا، يا ساحرتي كاترين.. عندما تختارين.. تكونين واقعية جداً..
ـ أو لست كتلة من جليد؟
ـ آه.. إذاً لقد سمعتي ما قالته ماغي؟ وكذلك حديثي. ألم يعلّموك عدم استراق السمع؟

وامسكت يده ذراعها العارية، مما أرسل الرعدة في جسدها. وقال:
ـ من يسترق السمع عادة لا يسمع الجيد الذي يقال عنه.
ـ لا أستطيع تصور أن تعتبر السيدة دانتون كتلة جليد.
ـ لا... فهذا آخر شيء ممكن أن أتصوره عن باربرا.
واغتاظت كاترين من كلماته، مع أنها هي من أثارت الموضوع.
ـ أظن أن عليّ أن أدخل إلى المنزل الآن.
وانحنت لتلتقط الحذاء، فقال ساخراً:
ـ لقد نسيتي الثمن.
ـ ارسل إليّ فاتورة.
وحتى بذراع واحدة، استطاع رالف أن يجذبها نحوه، فقالت بصوت منخفض ناعم:
ـ اوه.. لا.. لن أدعك تتجمد بالقرب مني..
ـ اوه.. ولكن أين كاتي؟ أين تلك الشخصية الدافئة الضاحكة التي أشاهدها مع ماغي؟ أريد أن أرى كاترين التي التقيتها منذ زمن... أين هي؟
ـ انا.. لا أعلم عما تتكلم...
وحاولت أن تتراجع ولكنه ابقى قبضته القوية عليها.
ـ لا تستطيعين إنكار ما تقوله لك نفسك الآن.
ـ لا، إنها لا تقول لي شيئاً..
ـ بلى..
ومد يده إلى شعرها وأخرج الدبابيس منه لينسدل على ظهرها كالحرير الأسود:
ـ هكذا أذكره.. كاتي اعطني من دفئك..
وخرج منها صوتها اهداً مما كانت تشعر به بالفعل.

ـ أنا أهنئك سيد كوينتين... ليس هناك الكثير من الرجال يرغبون في امرأة، وقد تركوا للتو امرأة أخرى، لا بد أنك تتناول الكثير من المنشطات لتبقي على نشاطك.

وجمد رالف في مكانه دون حراك، والغضب واضح في كل خلجة عضل في جسده، وقال بغضب..

ـ لو كنتي رجلاً لخنقتك على هذا القول.

ـ إذاً عليّ أن أعتبر نفسي محظوظة، أليس كذلك؟

ـ كنتِ محظوظة منذ سبع سنوات، ولكنني لن أكرر تلك الغلطة. حماقة واحدة في عمري تكفي، عندما ظننت أن بين يدي امرأة خجولة محبة، كان في الواقع بين يديّ طفلة عليها أن تختبىء فقط لبضع سنوات، وأنا لا أحب الكاذبين يا كاترين، ولعبتك الصغيرة لها ثمن في كل وقت. وسيأتي الوقت الذي ستدفعين فيه الثمن، وسأكون هناك لأقبض!

ودون أن ترد عليه، استدارت سائرة نحو المنزل، ولم تتوقف إلا في غرفتها.

مرة أخرى، قام رالف بخداعها، وما بدأته على أنه مداعبة مزعجة، انتهى بأن يصبح اتصالاً مثيراً لأحاسيسها. ولن تدع هذا يحصل ثانية.

في الصباح التالي، عند مغادرتها غرفتها تعثرت بصندوق على عتبة بابها، وفتحته لتجد حذاءها الفضي وملاحظة مكتوبة موضوعة في الداخل، وصاحت بعد أن قرأت ما فيها «اللعنة عليه!» كانت تقول: «إلى: كاترين ويزدوم».

المحتويات: زوج أحذية نسائية فضي.

ثمنه مدفوع بالكامل...

ولم تعد كاترين تشاهد رالف لبضعة أسابيع، مع أنه يومياً كان يترك

لها شريطاً أو شريطين مسجلين على طاولة مكتبها... ومع ذلك ولكي يتأكد من أنها لن تنساه، فقد كان يسجل لها بعض الكلمات يمررها بين النص، تجعلها تقف قليلاً لتلتقط انفاسها.

وفي أحد الأيام، تركت الصفحات المطبوعة، مع الأشرطة على طاولتها، ليأخذها رالف، وتركت رسالة صغيرة معها تقول فيها إن تلك الرسائل المسجلة إذا لم تتوقف فسترفض أن تطبع له شيئاً بعد الآن، أكانت ذراعه مكسورة أم لا.

التسجيلات التي تلقتها بعد ذلك كانت مسجلة بصوت بارد وسريع، وجدت صعوبة في تتبعه، واشتاقت لفكاهاته الصغيرة، ولكنها لم تبلِّغه. ولم يمضِ وقت، حتى توقفت التسجيلات تماماً، وعلمت أن ذراع رالف قد شفيت، ويستطيع الآن الطباعة بنفسه... وافتقدت ما كان يذكِّرها بوجوده، لكنها لم تعترف بهذا لنفسها...

٦ ـ مكتوبة لرجل واحد!

في صباح أحد الايام قالت ماغي لكاترين:

ـ محاميّ قادم بعد الظهر مع بعض الأوراق لأوقعها. هل تستطيعين أن تتأكدي أن باميلا ستحضر الشاي بشكل لائق. ستتناوله على الشرفة.. فالطقس جميل.

ـ طبعاً.. هل هناك شيء آخر؟

ـ لا.. أعتقد أن هذا كل شيء. مع أنني بحاجة للذهاب إلى المدينة لأحضر بدلة أوصيت عليها. وأريد أن أجرّبها أولاً. لماذا لا تأتين معي؟

بعد ساعة كانتا في سيارة ماغي متجهتين نحو المحل المفضل لماغي. وبينما كانت ماغي تقيس البدلة. أخذت كاترين تتجول في المحل، ووقعت عيناها على ثوب رائع، فوقفت مشدوهة به وبلونه البراق. ولم تلاحظ أن ماغي تقدمت لتقف قربها وتقول:

ـ إنه يناسبك تماماً.. جربيه.

ـ اوه ماغي إنه ليس ثوب لسكرتيرة مرافقة.

ـ إنه بالتأكيد لك.. روث، هل هذا الثوب قياس ستة؟

ـ أجل سيدة هامبسون.

ـ إذاً، أرغب في أن تقيسه الأنسة ويزدوم.

ونظرت كاترين إلى نفسها في مرآة غرفة القياس، وضاعت. لقد كان الثوب مناسباً لها وكأنه صنع من أجلها. واعلنت ماغي بغبطة:

ـ ها أنت.. ماذا قلت لكِ؟ سأشتريه، وبما أنه لا يحتاج لأي تصليح سنأخذه معنا.

ـ ماغي.. لا.!

ـ عودي إلى الداخل وارتدي ملابسك.. هذا شأني أنا.

وشعرت بالمرض وهي تخلع الثوب، وعادت إلى ارتداء تنورتها البيضاء بفتحتها المتوسطة من الأمام وبلوزتها الخضراء.. ليس هناك طريقة يمكن بها أن تتحمل شراء مثل هذا الثوب، وعلى ماغي أن تعرف هذا ولكن المرأة المسنة رفعت يدها طالبة منها الصمت:

ـ لا جدال.. على كلٍ، هناك أوقات أطلب منك فيها حضور مناسبات رسمية في منزلي.. اعتبريه زياً تحضرين به المناسبات.

ـ ولكنه زي مكلف جداً. لست أدري كيف أشكرك.

فابتسمت ماغي، وربتت على خد كاترين:

ـ الاشراقة التي كانت على وجهك وأنت تقيسينه تكفيني.

فيما بعد وبعد أن علّقت الثوب في الخزانة، سألت نفسها متى ستسنح لها الفرصة لترتديه. وقرعت الخادمة الباب عليها وأعلمتها أن السيد ساندرز، المحامي، موجود في الأسفل، وأن السيدة هامبسون تطلب حضور كاترين معهما.

عندما دخلت كاترين إلى الشرفة، وقف السيد ساندرز فوراً على قدميه ليحييها بطريقته الرسمية، وأضاء وجه الشاب الذي معه

www.elromancia.com

بالإعجاب وقد رأى هذا الجمال ذو الشعر الأسود، وقال السيد ساندرز:

ـ آنسة ويزدوم، أحب أن أعرِّفك على مساعدي الجديد إيدي هيل...

وابتسمت كاترين ومدّت يدها.

ـ أهلاً سيد هيل.

ـ أنت ساحرة آنسة ويزدوم.

ايدي هيل كان شاباً طويلاً، وشديد الشقرة، وجميل المظهر، وهو يعرف هذا.

وبينما كان السيد ساندرز وماغي يدرسان بعض أمور العمل، كانت كاترين تلاحظ أن عينا ايدي هيل تحدقان بها، فابتسمت له ابتسامة دافئة. وسألته بنعومة:

ـ هل أنت من سكان تشارلستون سيد هيل؟

ـ أنا من ريتشموند آنسة ويزدوم. لقد انتقلت إلى هنا لتوي لأقبل المركز الجديد مع السيد ساندرز. لقد كنت أعمل مع صديق له في ريتشموند، ولكنني شعرت بحاجة للتغيير، فعرض عليّ السيد ساندرز مشكوراً هذه الفرصة.

ونادت ماغي:

ـ كاترين، لماذا لا تأخذين السيد هيل في جولة على المنزل؟ أنا واثقة أنه سيعجب بحديقة الورود.

وسألها ايدي وهما يتمشيان إلى الحدائق خلف المنزل.

ـ هل تمانعين بأن أدعوك كاترين؟ السيد ساندرز قديم الطراز بحيث أنني أشعر أن عليّ ارتداء ثوب المحاماة القديم العهد وأنا أعمل معه.

وابتسمت ابتسامة جعلت وجهها يبدو دافئاً:

ـ مسكين سيد ساندرز يبدو أنه ولد متأخراً خمس وسبعين سنة.

ـ عليّ أن أعترف أنك قد أدهشتيني. فحسب ما تكلم عنك سيد ساندرز توقعت أن أرى عانساً في منتصف عمرها، بدلاً من هذا الجمال الشاب.

ولم تستطع إلا أن تنفجر بضحكة موسيقية.

ـ ماذا؟

ـ لقد كان يخبرني باستمرار كم أن الانسة ويزدوم قديرة، ولكنه لم يذكر كم هي جميلة أيضاً.

ـ شكراً لك سيد هيل.

ـ أرجوك ادعني ايدي...

ـ ايدي...

وأحست بنفسها تحمّر تحت وطأة نظراته الدافئة، وبينما هما يسيران في الحديقة، علمت أنه في الثامنة والعشرين، أعزب، ويهتم بالفنون الحديثة، والأفلام الأجنبية، ومرر ايدي طلباً رقيقاً خلال حديثهما:

ـ ربما تهتمين بالشفقة على قادم جديد ووحيد وتتعشين معي مساء الجمعة؟

وقبلت الدعوة بابتسامة. كان هادئاً وأخلاقه حسنة، وهو النوع من الرجال الذي تستطيع أن تتمتع بوقتها معه، ولا يشبه رالف إطلاقاً.

وعادا للانضمام إلى ماغي والسيد ساندرز، والتقيا في طريقهما رالف. فقدمتهما كاترين لبعضهما، ولكن بدا على رالف أن ما رآه لم يعجبه. وقال لها ايدي:

ـ حسناً.. يجب أن أذهب الآن. سأراك يوم الجمعة، هل يناسبك الساعة الثامنة؟

ـ هذا جيد... سأكون مستعدة.

وعلّق رالف قائلاً:

- من المؤكد أنه عمل سريعاً للحصول على موعد منك.
- إنه سيد مهذب.. وهذا شيء لا تعرف عنه شيئاً.
- الغي موعدك معه.
وغضبت لعجرفته فضاقت عيناها.
- لن أفعل!
- كاتي، أنا أقول لك هذا لمصلحتك. فأنا لا أثق به. إنه ليس من طبقتك.
- لا تحكم على كل شيء بتصنيفاتك المقرفة.
وجذبت ذراعها منه وأسرعت لتركه.
- كاترين!..
وهزت رأسها متجاهلة نداء رالف الآمر، وسارت راغبة أن تبتعد عنه قدر المستطاع.
خلال العشاء في المساء، قالت ماغي، معلقة:
- يبدو أن ايدي هيل شاب لطيف.
- أجل.. سيأخذني إلى العشاء، مساء الجمعة.
واشتعلت عينا ماغي بالفضول.
- اوه؟ إنه بالتأكيد لن يسمح لك بالمرور به مر الكرام. إنه رجل ذكي جداً..
وابتسمت لرالف، الذي كان رده الوحيد أن أخذت عضلات وجهه تتقلص، وقال بقسوة:
- من الواضح أنه لم يسمع بعد عن كاترين وعن سمعتها كلوح من الثلج.
وشحب وجه كاترين، ملأ عينيها الألم لهذه الملاحظة الجافة..
وصاحت به ماغي بحدة.
- رالف! اعتذر لكاترين فوراً.. لم يكن هناك داعي لقولك هذا.

وقالت كاترين عبر شفتيها المتصلبتين.
- لا.. ليس عليه أن يعتذر، ألم يقل الحقيقة.. أرجوكما عذراً...
ودفعت كرسيها إلى الخلف، وغادرت الغرفة بسرعة قبل أن يكشف وجهها عن الألم الذي كانت تشعر به في داخلها.
وخرجت إلى الحديقة، ومالت بظهرها على أحد الأعمدة، ونظرت إلى الحدائق المشعة بنور القمر، وهي لا تصدق أن رالف كان فظاً معها هكذا وبشكل متعمد، وسمعت صوته المألوف:
- كاتي.. كاتي أنا آسف.
ولكنها لم تلتفت له بل قالت، وحنجرتها تكاد تطبق:
- ولماذا يجب أن تكون آسفاً؟ عليّ أنا أن أكون آسفة... حسناً.. كل هذا سيتغير.. وسيكون هناك كاترين جديدة، وايدي هيل هو البداية فقط.
- سوف تنقلبين رأساً على عقب معه.. إنه ينظر إليك كمن يغرّيك ويعجبه ما يرى.
- وكذلك أنت.
- نواياي مرضية أكثر من نواياه.
ولم يشعر بالخجل من الكشف عن نواياه، ولا أن يعترف باتهاماتها.. وأضاف:
- أنت لم تمانعي بطريقة نظري إليك من قبل.
- كنت صغيرة وساذجة.
- صغيرة ربما.. ولكنك لم تكوني أبداً ساذجة.. كان لك الإرادة لان تتعلمي بدل أن تبقي ساذجة.
- لا أرى سبباً لاستمرار هذا الحوار المزعج.
واستدارت، متحركة لتتخطاه. فأمسك بخصرها:

ـ كاتي.. كاتي أنا آسف. أنا أفكر بك فقط. صدقي هذا أرجوك. لا أريد أن يحدث لك شيء لا تستطيعين أن تتخلصي منه.

ـ إذا كنت تفكر بي حقاً، لكنت سعيداً بأن ثلجي بدأ يذوب أخيراً.

قالت هذا ببرود قبل أن تنفلت من قبضته، دون أن تدرك أنه لو أراد، لما استطاعت أن تفعل هذا بسهولة.

وأقبل مساء الجمعة فارتدت فستاناً أحمر يناسب جمالها تماماً، واتسعت عينا ايدي بالإعجاب عندما رآها.

ـ لم أكن لأحلم بأجمل من هذه الصورة؟ سوف أحسد كثيراً هذه الأمسية.

ـ اظن أن هذا ممكن أن يقال لكلينا.

وأخذها ايدي إلى مطعم يقدّم المأكولات الشرقية. لحم الخروف الذي طلبته كاترين كان حاراً ولذيذاً والخضروات كانت غير عادية، فيما بعد احتسيا القهوة التركية وهما يتفرجان على ثلاث راقصات قدّمن الرقص الشرقي. كل حركة كانت تثير إعجاب الرجال هناك، وشعرت كاترين بالخزي عندما نظرت إلى ايدي ووجدته ينظر إليها خلسة.

ولكن تصرفه كان لائقاً ومؤدباً عندما أوصلها أمام باب المنزل، قائلاً:

ـ أتمنى أن نعيد الكرة في أمسية أخرى.

ـ سأحب هذا.

وكان صوتها مضطرباً، حتى وهي تذكّر نفسها كم كان ايدي مهذباً. تصرفه كان مختلفاً عما يفعله رالف معها.

ـ سأتصل بك، وليس بخصوص العمل.

في وقت متأخر من صباح السبت، كانت كاترين ترتب باقة ورود صفراء وصلت إليها عندما أجفلها صوت من ورائها:

ـ زهور من الولد الجميل؟

وتابعت عملها، متجاهلة كلمات رالف الساخرة:

ـ أجل.. لقد أرسلها ايدي.. جميلة أليست كذلك؟

وتراجعت خطوة إلى الوراء لتنظر إليها بإعجاب.

ـ لا بد أنه تمكن من اقناعك بالخروج معه بأسرع مما هو متوقع. أم أن هذا جزء من عملية التقدم قبل أن ينقضّ عليك؟

ـ هذا شيء تعرف عنه أكثر مني.. هاي.. سيد كوينتين.. يبدو عليك أنك تغار.. هل تكدرت لأن رجلاً آخر نجح حيث فشلت أنت؟ يا عزيزي.. هل ستعترف بعمرك الحقيقي أخيراً؟

حركة خفيفة من عضلات فمه فقط كشفت عن غضبه.. فقال بصوت تبدو عليه الخطورة:

ـ فليكن ما تريدين يا سيدتي.. أنت حرة بنفسك.

وذهب. فتمتمت:

ـ هكذا أفضل.

وعادت الى ترتيب ورودها.

وحافظ رالف على وعده، وبقي بعيداً عنها منكباً على كتابته وآلته الطابعة، ونادراً ما يرى عمته. وكانت كاترين لا تلتقيه إلا عند وجبات طعام محددة، حيث يبدأ إما بمضايقتها أو بالتحدث عن ايدي. وقالت له ماغي بحدة مرة:

ـ رالف، هذا يكفي.. ايدي شاب ممتاز. وأنا سعيدة أن عنده العقل السليم ليكون مهتماً بكاترين.

ـ همه الوحيد هو أن يرى مدى سرعة وقوعها بين ذراعيه.

فصاحت به كاترين غاضبة:

ـ وحده من له تفكير قذر مثلك قد يفكر هكذا. وليس الجميع يعيشون حسب مفاهيمك المقرفة.

ـ توقفا عن هذا الهراء كليكما على الفور.

ووضعت ماغي يدها على جبهتها وأضافت:

ـ أشعر وكأن لديّ طفلان متمردان معي هذه الأيام، أما بالنسبة لك يا رالف، إذا كنت لا تستطيع ان تتحدث بأدب مع كاترين، فلا تقل شيئاً أبداً. وعندما يكون ايدي في بيتي أتوقع منك أن تكون مؤدباً معه، وتوقف عن إيلام كاترين.

وتحدى رالف عمته، وقال ببرود:

ـ أنا لست طفلاً يا ماغي، ولا أرى سبباً لأكون مؤدباً مع رجل يرى في كاتي امرأة لليلة واحدة.

فقالت كاترين:

ـ ولماذا تهتم بما يحدث لي؟ أنت لست جدي. ولا رأي لك في حياتي. لقد سئمت الأوامر وكأنني طفلة لا عقل لها، وبأن يقال لي ما أفعل وما لا أفعل... أنت.. أوه.. ما الفائدة!

وبزفرة غضب قفزت عن كرسيها وغادرت الغرفة.

وحدقت ماغي برالف من فوق نظاراتها وقالت:

ـ من الغريب كيف تستطيع أن تغيظها بطريقة خاطئة. لقد كانت دائماً تفخر بنفسها لكونها تحافظ على أعصابها. ومع ذلك.. معك..

ـ ابقي بعيداً عن الموضوع. لقد كنت أنت من دبّرت أمر لقائها مع هيل هذا. فلا تتدخلي بعد الآن.

ـ يا عزيزي رالف.. أنا لست ممتنة لهذه التصرفات غير اللائقة على مائدتي. إضافة إلى أنني أؤمن بأن على الطبيعة أن تأخذ مجراها. وأنا قدمتهما لبعض.. ليس أكثر.

غضب كاتي على رالف لم يكن من السهل ان ينطفىء كانت تعلم أنه لا يزال يلتقي باربرا دانتون. ومع ذلك فلديه الوقاحة ليتدخل بمن تخرج هي معه. أما بالنسبة لتصرفات ايدي فقد كان دوماً الرجل المهذب الكامل معها.

بعد بضعة أيام وصل ايدي ليرافقها إلى السهرة.. وخلال تمضيتهما الأمسية، شعرت كاترين بالقلق من نظرات إيدي إليها، وقال لها بصوت متحشرج:

ـ تبدين أكثر جمالاً كل مرة أقابلك فيها.

ـ هذا لأنه مضى وقت لم تشاهدني فيه.

ـ أكره أن اكون بعيداً عنك.

ـ نحن معاً الآن.. أليس هذا هو المهم؟

بعد أن حضرا مسرحية، ذهبا إلى مطعم لتناول العشاء متأخراً. وعندما دخلا حلبة الرقص، أمسكها قريباً منه أكثر من المعتاد. وكأنه يريد أن يستوعب جسدها في جسده، وأحست كاترين بنفسها تتوتر، ورغبت فجأة بأن لا يلمسها، وشعرت بالثورة على هذا العناق الحميم وحاولت أن تسحب نفسها منه.

ما لم تستطع فهمه هو لماذا تجعلها لمسة إيدي لها تقشعر بينما لمسة رالف الدافئة تجعل جسدها ينبعث حياً. هل شخصيته أثّرت عليها لدرجة أنها لم تعد تصلح لأي رجل آخر؟ وملأتها الفكرة بخيبة الأمل. وحاولت أن تجذب نفسها منه وتعود إلى الطاولة.. وفجأة رأت رالف.

عبر الغرفة كان رالف يراقص باربرا دانتون، وجسداهما متقاربان جداً. وعندما التقت نظراتهما، بدأت عيناه تتفحصانها تدرسان بشكل واضح التغييرات في لباسها وتحركاتها. ثم عادتا إلى عينيها وبدا فيهما السخرية من منظرها المغري.

وذابت كاترين متعمدة على صدر إيدي، مما أشعره بالسعادة. وعادت إلى طاولتها، جاهدة أن تبدو مسترخية تحت نظرات من في الجهة الأخرى من الغرفة. وهي تتحدث مع ايدي وتضحك. وشعرت بالارتياح عندما غادر رالف وباربرا المكان.

عندما أوقف ايدي السيارة عند مدخل المنزل، لم يخرج، كما كان يفعل عادة، بل استدار إليها في مقعده وأخذ يتفرس بملامحها.

ـ حتى هذه الأمسية كنت أنظر إليك وكأنك قابلة للكسر مثل البورسلان، وبحاجة للعناية بدقة ورقة. وأراك الآن امرأة ذات دم مشتعل.

ومد يده ليمررها على ذراعها، فقالت:

ـ لم أفكر بنفسي أبداً أنني كالبورسلين.

ووجدت صعوبة في إبقاء صوتها هادئاً.. لماذا تشعر بالكراهية عندما يلمسها؟

ـ لقد تأخر الوقت كثيراً يا ايدي... وعليّ أن أدخل.

ـ لو أنك تعرفين ما أشعر به نحوك منذ زمن.. وكم أردتك!

وقبل أن تستطيع الاحتجاج وجدت نفسها بين ذراعيه، يشد عليها بقوة. فشهقت وحاولت الابتعاد عنه صارخة:

ـ لا...!

ـ هذه الليلة جعلتيني أشعر بأن الإعجاب بيننا مشترك، تعالي معي إلى منزلي كاترين، هناك أفضل من السيارة، وسأعيدك إلى منزلك قبل الإفطار.

ـ أرجوك لا تدمّر صداقتنا يا ايدي.

وأخذت تتوسل وهي تتلوى لتجنب عناقه.

ـ صداقة؟ أنا أريدك يا كاترين، وليس صداقتك.

وترقرقت الدموع في عينيها لهذه الإهانة غير المتوقعة. يبدو أن رالف على حق. وكما كان يقول لها جدها على الدوام: الرجال سيرغبون بها لشيء واحد فقط، وايدي هو البرهان على صدق هذا القول.

وعلى غير توقع، فُتح الباب، وأحست كاترين بنفسها تجر إلى الخارج، وللحظة أحست بنفسها وقد عادت في الزمن سبع سنوات إلى الوراء، يوم أن جرها جدّها من سيارة رالف. ونظرت إلى الأعلى وهي تتوقع رؤية جدها ولكنها واجهت عينين مدهوشتين في قسمات رالف الحادة. كان على وجهه نظرة الرجل الذي ينوي أن يقتل، إذا كان الأمر ضرورياً. ومال فوق السيارة ونظر إلى وجه ايدي، النصف مندهش والنصف غاضب.

ـ أمامك ثانيتين للخروج من هنا، يا هيل، ولتبقى بعيداً. وإذا لمستها بعد اليوم. أقسم بأن أقتلك، وهذا ليس تهديداً، إنه وعد...

فرد عليه مدافعاً عن نفسه:

ـ لقد حصلت على ما كانت تطلبه طوال السهرة.

وصاح به رالف، وهو يصفق الباب ويتراجع خطوة إلى الوراء:

ـ اذهب من هنا!

وانسحب ايدي بغضب، وإطارات سيارته تصرّ فوق الطريق. ووقف رالف جامداً، يتنفس بصعوبة محاولاً السيطرة على غضبه الذي يغلي في داخله قبل أن يلتفت إلى كاترين. ولاحظ شحوبها وارتجافها الذي لم تكن قادرة على السيطرة عليه، فابتلع الكلمات الغاضبة التي كان ينوي قولها.

ـ تعالي...

ودفعها بلطف إلى المنزل ثم إلى غرفة الجلوس، وأجلسها في مقعد مريح. فهزت رأسها بقلق، وحاولت تجنب غضبه.

ـ لقد مرّ عليّ ما يكفي الليلة..

ـ لقد عانيت من صدمة، لا بأس عليك الآن.

ونظرت إليه، على الرغم من أن صوته كان لطيفاً، إلا أن الخطوط على أطراف فمه كانت تنم عن أن ما شاهده في الخارج قد أثّر عليه.

ودون أي عناء، انحنى رالف وحملها بين يديه، خارجاً بها من الغرفة ثم صعوداً على الدرج. . واحتجت كاترين.

ـ أستطيع أن أسير.

ولكن في الواقع، كانت راضية بأن تريح خدها على نعومة حرير قميصه، وبأن تشعر بحرارة جسده. وبدا لها أن من الصواب أن يحملها بين ذراعيه. وأن تعتمد على قوته. وقال رالف فجأة:

ـ لقد كنت كالميتة، قدماك ما كانتا ستساعدانك على الخروج من ذلك المقعد.

ودفع باب غرفة نومها بقدمه، ودخل دون أن يضيء النور. ووضع كاترين في السرير، وبسهولة فك أزرار ثوبها، وجذبه عنها، فقالت وقد بدأت دفاعاتها تعود إليها.

ـ لا. . هذا غير لائق.

فأمسك يديها، وركع أمامها قائلاً:

ـ أنا لست مهووساً، يجن لرؤية امرأة نصف عارية، مهما كانت جميلة ومرغوبة. . والآن، لا أعتقد أن لديك القوة الكافية لتخلعي ثيابك بنفسك. كوني فتاة عاقلة وأخبريني أين أجد ثياب نومك؟

ـ في الجارور الأسفل. . على يدك اليمنى.

وعندما عاد إليها، استطاع أن يرى على ضوء القمر الكدمات التي سببتها مقاومتها لإيدي على كتفيها. وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يسيطر على تعابير وجهه ثم وضع ثوب النوم الزهري فوق رأسها لينزلق عليها.

ومدّت كاترين يدها لتمسك بيده بقوة، ونظرت إليه بعينين تملؤهما الدموع.

ـ رالف. . . لا بد أنك تظنني سخيفة، حول كل ما حصل.

فقال ببطء:

ـ ما أظنه أنك عشت حياة محرومة جداً. . معظم النساء يعرفن

كيف يتعاملن مع حيوان مثل ايدي. تصرفاتك الباردة ممكن أن تكون مفيدة في بعض الأوقات، إلا أنها تمثل تحدياً عند بعض الرجال. ما عليك إلا أن تنظري بهاتين العينين البنفسجيتين لتغلي الدماء في عروق الرجل. يجب أن تتوقعي أن يعود الرجل إلى طبيعته البدائية يا كاتي. وكوني تصرفت معك كما تصرفت في الماضي، لا يعني أنني لم أكن أحبك.

وعندما رأى الدموع تلمع في عينيها، انحنى فوقها وطبع قبلة على جبينها قائلاً برقة:

ـ حاولي أن تنامي. . الأمور ستبدو بشكل أفضل في الصباح.

وبابتسامة مطمئنة، انزلقت كاترين تحت الأغطية، وأغلقت عينيها ولم يمض وقت قصير، حتى سمعت باب الغرفة يغلق، وأصبحت لوحدها.

☆ ☆ ☆

٧ ـ امرأة جديدة

استيقظت كاترين في الصباح التالي وصداع اليم يضغط على صدغها. وبعد ابتلاع قرصين من الاسبرين ارتدت بنطلوناً أبيض وقميصاً زهري اللون.

وعندما وصلت اسفل الدرج، التقطت اذناها نبرات صوت ماغي ورالف.

ـ يجب أن تعلم يا رالف أنه من الصعب التصديق أن ايدي حاول اغتنام الفرصة مع كاترين.

ـ أنت مخطئة جداً، فالسيد هيل كان بامكانه أن يغتصب كاتي لو لم أتدخل. واذا رأيته بعد الآن على مقربة ميل من هنا، سأخنقه بكل سرور.

فتذكرت كاترين ما مر بها في الليلة الماضية، وشعرت بالمرض، فاستدارت مبتعدة، وبعد أن توقفت في المطبخ لتتناول كوباً من القهوة،

توجهت نحو مكتبها. وبعد عدة دقائق، رفعت نظرها بدهشة عندما دخل رالف عليها دون أن يقرع الباب، وبعد أن أغلقه خلفه، مال بظهره عليه.

ولاحظ الاسوداد الخفيف تحت عينيها، والنظرات المتعبة وراء نظارتها. ولم تكن قد جمعت شعرها فوق رأسها، وبقي مسترسلاً بتموجات على كتفيها، وجهها كان خالياً من المساحيق، مما جعلها تبدو صغيرة جداً.

ـ أنا سعيدة لأنك زرتني..

وكالعادة، صوت كاترين الناعم كان كافياً لانقباض عضلات وجه رالف، وتابعت:

ـ اود ان اشكرك للطفك معي ليلة أمس، ولتفّهمك.

وهز رالف كتفيه دون اكتراث:

ـ حدث أن كنت موجوداً.

ـ كذلك أريد أن اعتذر عن بعض ما قلته لك. كنت على حق في كل ما قلته عن ايدي، وكنت غبية لأنني لم أستمع لك.

وجلس رالف على زاوية الطاولة، وإحدى ساقيه متدلية، تتحرك.

ـ كل ما فعلتيه أنك رميت نفسك في مياه عميقة قبل ان تتعلمي السباحة جيداً. ما قولك في بعض الدروس؟

ـ الدروس؟

ـ حول تفكير الرجل الأميركي العادي... كاتي.. يجب أن تتذكري أن ليس كل الرجال سواء.

ـ وكيف ستفعل هذا؟

ـ هناك حفل موسيقي في الهواء الطلق في جزيرة «هيلتون هيد» غداً أتحبين أن تذهبي معي؟

ـ ألا تحب السيدة دانتون الحفلات الموسيقية؟

خرجت منها الكلمات دون قصد. واحمّر وجهها وخفضت عينيها ثم تمتمت «أنا آسفة».

ـ لو أنني أردت أن آخذ باربرا، لما كان عليّ أن اسألها.. حسناً.. هل ستذهبين معي؟

وحدّقت كاترين في طاولتها، لماذا عليها أن تثق برالف؟ فهو على كل الأحوال رجل، وله نفس رغبات ايدي. ولو استطاع أن ينفرد بها، فلن تجد أحد ينقذها منه. أجل.. لقد أنقذها من قبل من وضع سيء، ولكن ربما كان عنده سبب لعمله هذا. فهو لم يحب ايدي منذ البداية. ولم تستطع فهم لماذا يطلب منها الذهاب معه، ولكنها عرفت أنها تريد الذهاب أكثر من أي شيء آخر.

ورفعت رأسها وهي تبتسم له ابتسامة مرتجفة:

ـ في أية ساعة؟

ـ كوني جاهزة عند الرابعة. كي نستطيع الوصول باكراً.. وارتدي ثياباً عادية ودافئة.

بعد ظهر اليوم التالي ارتدت ثيابها وانتظرت متسائلة أين سيتناولان عشاءهما. رالف لن يختار أبداً مطعماً هادئاً ومنعزلاً.. بل اختار مطعماً ايطالياً صاخباً، حيث استقبلوه وكأنه صديق قديم.

ونظرت كاترين إلى لائحة الطعام، وقالت معلّقة:

ـ كل شيء فيها يبدو لذيذاً.. ويجعل الإنسان سميناً.

ـ أنت نحيلة جداً على كل الأحوال، ولن يؤثر عليك تناول حراريات إضافية.

ـ هل أعتبر هذا إطراء أم ماذا؟

وضحكت، بعد أن أحست بالراحة لصحبته.

خلال العشاء، أخذ رالف يسلي كاترين بالقصص عن تجاربه في رحلاته المتعددة، وضحكت من قلبها لفكاهاته.

ونظر إليها رالف بعد أن انتهى من سرد إحدى قصصه.

ـ لا أعتقد أنك تصدقيني.

ـ عليك أن تعترف أنها تبدو غريبة قليلاً.

ـ ولكنني أؤكد لك أنها الحقيقة.

ونظر إلى ساعته، وقال ضاحكاً:

ـ يبدو أننا يجب علينا الذهاب فوراً إلى الحفلة.. هل أنت مستعدة؟

عندما بلغا مكان الحفلة، تجاهل الكراسي الموضوعة للمتفرجين، واختار هضبة معشوشبة، وجذبها لتجلس بقربه. وأدارها لتريح ظهرها على صدره ولف يديه حول خصرها. فأجفلت للمسة جسمه.

ـ لا تقلقي أنا لا أهاجم النساء في مكان عام.

فضحكت، وقالت:

ـ لا تحاول أن تستغلّ الفرصة خلال الاحتفال، أريد أن أتمتع بالموسيقى.

ومرة اخرى، أستطاعت كاترين أن تسترخي، ونسيت نفسها أمام الموسيقى الناعمة. وما ان انتهت آخر النغمات الموسيقية من الغرفة، حتى كانت مرتاحة جداً، وتشعر بالدوار، فهمس لها:

ـ حان وقت العودة إلى دنيا الواقع يا كاتي.

فتنهدت وقالت:

ـ المكان جميل هنا.

ـ ربما..

ودفعها بلطف، قبل أن يقف ويجذبها لتقف معه.

ـ تعالي أيتها الكسولة. فأنا لا أنوي أن أحملك حتى السيارة.

ـ أنت مزعج.

فضحك رالف، ودفعها على جنبها.

ـ انت المزعجة.. تحركي...

واستمر رالف في لعب دور المرافق المرح المسلي طوال السهرة. وعاملها بمزاح دون أن يترك لها فرصة العودة إلى قوقعتها. لكن التصرف المرح فارقه عندما وصلا إلى المنزل ودخلاه، وخطت إلى الداخل بضع خطوات وانتظرت حتى أقفل الباب، نصف مشاعرها كانت تدفعها للانسحاب بسرعة، ولكن النصف الآخر كان يتذكر تلك المشاعر في عروقها التي يستطيع أن يسببها وجوده، ويتشوق لأن يأخذها بين ذراعيه. والتفت إليها، ولاحظ توترها، ولم يفهم ماذا حدث ليسبّب هذا التوتر:

ـ أتمنى أن لا تكون العمة ماغي قد بقيت مستيقظة بسببنا.

واستدارت مبتعدة صاعدةً الدرج، وكل عصب فيها يحس بالرجل الطويل خلفها. وعندما وصلت غرفتها استدارت لتواجهه، قائلة:

ـ شكراً لهذه الأمسية الرائعة.

ـ أنت دائماً الفتاة الصغيرة المؤدبة.. أليس كذلك؟ حسناً أن لديّ بعض العناد أيضاً.. عمت مساءً يا كاتي.

واستدار متوجهاً نحو الدرج ثانية. ووقفت خارج غرفتها الى أن سمعت باب غرفته يقفل.

وما إن خلعت ملابسها استعداداً للنوم، حتى اخذ عقلها يتناقش مع قلبها..

رالف لن يعاملها ابداً بالطريقة التي عاملها بها ايدي، وكل ما عليها أن تفعل لتتأكد من هذا هو أن تتذكر ما حدث بينهما منذ سبع سنوات. إضافة إلى تصرفاته الأخيرة. وجلست على حافة السرير ودفنت وجهها بين يديها وهي تفكر بباربرا. بوجود هذه المرأة الشقراء في متناول يده، لماذا يزعج نفسه معها؟ إلا إذا كان يسعى للانتقام منها... ولكن هل ما زال يحمل كل هذا الحقد بعد كل هذا الزمن؟

خلال الأيام التالية، برهن رالف بأنه رفيق مثالي، الرفيق الذي لم تحصل عليه خلال طفولتها أبداً. وأثناء تمضية وقتهما معاً كان أكثر ما يفعله هو أن يمسك بيدها، أو يضع ذراعه تحت ذراعها بطريقة عادية.

ومع أنها كانت تشعر بالارتياح معه، إلا أنها كانت تحتفظ ببعض التردد في داخلها.

وذات يوم اصطحبها إلى معرض دراجات نارية، وأشار إلى دراجة قوية من نوع «كاوازاكي».

ـ ما رأيك بهذه؟

ـ أليس هناك لون غير الأحمر؟

ـ هذه دراجة نارية، وليست ستائر غرفة نوم. إنها آلة جميلة، وقوة أحصنتها كبيرة.

ـ إنها تشبه الأخرى التي كانت لديك.

والتفت رالف إلى البائع وهو يتنهد.

ـ سآخذها.

فأشار البائع إلى مكتب صغير.

ـ عظيم.. لنذهب الى الداخل ونتمم الأوراق.. اتعلم.. زوجتي لا تحب الدراجات.

ـ على الأقل أنت برفقة زوجتك لتركب معك، أما زوجتي فلا تذهب معي. تقول إن عليّ أن أكسر رقبتي لوحدي، ولا تهتم بأن تكون موجودة.

ونظر رالف إلى كاترين ضاحكاً بخبث.

ـ أجل... عليّ أن أقدّر لكاتي هذا. إنها توافقني على أي شيء.

وانتظرت كاترين في الخارج حتى انتهت اجراءات البيع، ورتب أمر أخذ الدراجة النارية فيما بعد. منظر الدراجة النارية أعاد إلى ذهنها ذكرى باربرا، وبدأت تتساءل عما إذا كان لا يزال يقابلها.

وعندما خرج رالف من المكتب، تقدم نحوها، وهو يلوح بخوذة زرقاء لماعة بيده، وضحكة عريضة على وجهه، تأثير هذه الضحكة أصابها بقوة مما دفعها إلى أخذ نفس عميق لتستعيد سيطرتها على نفسها.

وانحنى أمامها بتأدب وهو يمدّ يده إليها بالخوذة:

ـ هذه لك.

ـ لي أنا؟

ـ ستركبين معي يا سيدتي.. وستلبسين الخوذة، فأنا لا أرغب في أن أرى أيّ سوء يصيب هذه الرقبة الجميلة.

وأحسّت كاترين أنها تريد أن تبكي وهي تقبل الخوذة منه. وأحنت وجهها حتى تخفيه عن نظرة رالف الحادة.

ـ لا تنسى أن لديّ موعداً لتصفيف شعري بعد عشر دقائق.

ـ صحيح..

وقادها إلى سيارتها، وفتح لها الباب. أمام باب صالون تصفيف الشعر، أوقف رالف السيارة واستدار نحوها، وهز اصبعه في وجهها.

ـ لن تقصيه قصيراً.

ـ أنا أبدو فظيعة المنظر بالشعر القصير. سأقص أطرافه فقط. وسأكون جاهزة بعد ساعة.. ولكن لا تهتم بالإسراع في العودة.

ـ سأكون هنا بعد ساعة بسهولة.

مصففة الشعر، كانت شقراء صغيرة مليئة بالحيوية. وبعد أن غسلت شعرها، وأجلستها أمام المرآة، قالت لها:

ـ أود لو أنك تسمحين لي أن أفعل به شيئاً.

وتذكرت قول رالف «لن تقصيه قصيراً». وكيف ستبدو يا ترى، وسألتها:

ـ بماذا تفكرين؟

ـ أن أقصّ إنشاً أو إنشين منه مع «برمانينت» سيعطي له هذا رونقاً والكثير من التجاعيد، تجاعيد كبيرة وسميكة.

وترددت كاترين، لا خوف من هذا، وقالت بصوت منخفض:

ـ ولكن لا تقصيه قصيراً كثيراً.

ـ لا.. لن أقصّره كثيراً.

الساعة التي حددتها لرالف استمرت لساعتين. وقالت لها المصففة بعد فترة:

ـ هناك رجل رائع ينتظرك، وقلت له إنك ستخرجين عما قريب. إنه حقاً شخصية. الفتيات هنا خلقن أعذاراً ليخرجن وينظرن إليه.

عندما نظرت كاترين إلى شعرها المبلول، شهقت، لقد كان أقصر من كتفيها بكثير وصرخت «أوه.. ماذا فعلتي؟».

ـ لا تقلقي، إن منظره وهو مبلل يبدو سيئاً. انتظري إلى أن أنتهي.

واعترفت في النهاية بأن قصتها الجديدة أعطت تأثيراً ساحراً لوجهها. شعرها كان لا يزال فوق كتفيها، ولكن بتجعدات رقيقة، وقالت لها مصففة الشعر:

ـ سيحبه صديقك كثيراً.

ـ إنه ليس صديقي.. إنه ابن أخ رئيستي.

ـ ولكن هذا ليس الانطباع الذي حصلت عليه منه. عندما قلت له إن عليه أن ينتظر، أول شيء أراد ان يعرفه هو ما إذا كنت قد قصصت شعرك قصيراً. وتملكني شعور بأنني لو قلت له نعم، فسيجبرني أن الصق ما قصصته لك ثانية.

وسارت كاترين إلى غرفة الانتظار مترددة. وارتبكت عندما شاهدت رالف يجلس على أحد المقاعد، يقرأ مجلة.

ـ رالف..

ورفع نظره إليها، وتغيرت تعبيرات وجهه على الفور، وبينما هو

يقف عن المقعد، لم يستطع إبعاد نظره عنها.. وقال ببطء:

ـ لم أكن أعتقد أن منظرك سيء من قبل، ولكنك حقاً قد وجدتي طريقة رائعة لتحسين هذا المنظر مائة بالمائة.

ـ كنت خائفة أن لا يعجبك.

وقالت له متوسلة وهو يفتح باب السيارة لها:

ـ أرجوك.. هل تتوقف عن النظر الي هكذا؟

ـ أنا احدّق بك هكذا، لأن ما أراه يعجبني، كثيراً..

وبعد أن صعد رالف إلى مقعد القيادة قال:

ـ حسناً، أيتها المخلوقة الجميلة، بالقدر الذي أحب كثيراً أن أخرج معك هذا المساء كي يشاهد الجميع الجديد فيك، أخشى أن شيئاً جديداً قد حدث. ولكنني سأعوض عن هذا في نهاية الاسبوع.

هل هذا الجديد الذي حدث، هو باربرا دانتون؟

ـ لا أتوقع منك أن تأخذني إلى أي مكان.

ونظر إليها رالف متعجباً من هذا التغيير المفاجيء.

ـ لا تعودي إلى التجمد الآن يا كاتي. لقد كنت عظيمة مؤخراً. لقد اصبحت شخصاً جديداً.

ـ لا تدعني بهذا الاسم السخيف!

وتوقف أمام بائع الدراجات.. فقالت له بصلابة:

ـ ليس عليك أن تتظاهر بأي شيء معي.. أنا أعلم أنك ستذهب للقاء باربرا دانتون.. على فكرة، كيف حالها؟

ـ لا شأن لباربرا معك.

ـ أوه.. صحيح. لقد نسيت تماماً، هي وأنا من عالمين مختلفين. وشخص قليل القدر مثلي يجب أن لا يذكر اسم السيدة. وبالطبع أنا أستخدم كلمة السيدة دون فائدة.

ومد يده ليجذب ذقنها كي تنظر اليه، والنار الذهبية في عينيه تشير

بوضوح إلى غضبه.

ـ أقترح عليك أن تكوني ذكية، وتنسي كل شيء عن باربرا، لأنني لا أنوي بحث أمرها معك.. هل كلامي واضح؟

ـ مثل الجرس.

وترك وجهها، واستدار ليفتح الباب، وقال لها بجفاء:

ـ سآخذ دراجتي الآن.

ودون أن ينظر إليها، خرج من السيارة وسار نحو المكتب.

وانزلقت كاترين نحو مقعد القيادة، وانطلقت بالسيارة، وأفرغت غضبها بقيادة السيارة بسرعة وهي تقطع الطريق. وأمضت طوال الرحلة محاولة السيطرة على نفسها.

ودهشت ماغي وسرّت كثيراً بقصة شعر كاترين الجديدة. وقالت لها:

ـ أنت تبدين وكأنك امرأة جديدة. إنها أنعم ودافئة أكثر. ما رأي رالف بها؟

ـ أوه.. لقد أعجبته.. أرجوك ماغي.. لا تستنتجي أشياء من وراء هذا. أنت تعرفين جيداً أن رالف يحاول مساعدتي للتغلب على.. حسناً، أنت تعرفين.

ـ طبعاً.. رالف رجل طيب القلب. لديه بعض التصرفات القاسية، كمعظم الرجال، ولكنه طيب ايضاً مع من يهتم بهم. ومهما قلتي، أنا أعرف أنه يهتم بك كثيراً.

ـ الهذا هو سيقابل باربرا دانتون هذه الليلة؟

عندما ذهبت إلى غرفتها تلك الليلة، دهشت لمرأى الدراجة مركونة قرب الكاراج. من الواضح أن رالف اختار أن يدخل من مدخله الخاص. ولكن ما أدهشها حقاً هو الساعة المبكرة التي عاد فيها. فهو عادة عندما يكون مع باربرا، يمضي الليل كله خارجاً.

في الصباح التالي كان رالف على سجيته المرحة مرة أخرى، وكل دلائل غضبه على كاترين تلاشت وهو يحييها بمرح مع ابتسامة ناعمة. وقال لماغي خلال تناول الإفطار:

ـ لقد تحدثت مع أمي ليلة أمس. إنها تتوقع قدومنا في الخامس عشر من هذا الشهر، والحفلة ستكون في السابع عشر منه.

والتفت إلى كاترين:

ـ إحدى شقيقاتي خطبت، وهم يحضّرون الحفلة وسنطير ثلاثتنا لحضور حفلة الخطوبة.

ـ لا حاجة لأن أكون معكما إذا كان الأمر عائلياً.

وقالت ماغي:

ـ هذا كلام سخيف.. سنسافر غداً بعد الظهر. لقد أنهيت كل ترتيبات السفر.

ـ غداً؟

ـ غداً الخامس عشر من الشهر.. ولماذا؟ هل يلزمك أكثر من أربع وعشرين ساعة لتحضير أغراضك.

وقال لها رالف:

ـ نريد أن نبقى هناك لأكثر من اسبوع.. وسوف تمرحين كثيراً يا كاتي... ومن يعلم.. قد أسمح لك حتى بإغوائي.. أخيراً.

ـ رالف!

وبدا على ماغي الصدمة لكلامه، قبل أن تستسلم للضحك. وسألتها كاترين، وقد علمت أن ليس أمامها مجال للتراجع

ـ وماذا ترتدين عادة لحفلات الخطوبة؟

* * *

وبقيت كاترين هادئة وهي تشرف على تحضير حقائب ماغي، ثم عملت على تحضير حقائبها بسرعة. وبما أن حفلة الخطوبة ستكون رسمية، قررت أن تأخذ معها ثوبها الجديد، وتساءلت عما سيكون رد فعل رالف عند رؤية الثوب المثير.

وركبوا الطائرة في الصباح التالي، واختارت ماغي أن تجلس في المقدمة، ولكن رالف اختار مقعدين خلف الجناح له ولكاترين.

ـ من هنا ستحصلين على مناظر أفضل.

وجلست كاترين في مقعدها إلى جانب النافذة، وهي خائفة أن تنظر إلى الخارج، والسبب عائد إلى أن والديها ماتا في حادث تحطم طائرة، وقال رالف:

ـ هاي.. انظري إليّ..

ـ أنا خائفة... بصراحة.

ـ بسبب حادث والديك.. إذاً يجب أن نعتني بهذا فوراً. لا يمكن أن تبقي خائفة من الطيران طوال حياتك.. أولاً.. ركزي عليّ.

وشعرت وهي تنظر إلى عينيه، وكأنها نومت مغناطيسياً. وأصبح كل ما يهمها هو الطريقة الدافئة التي تلاطفها بهما عيناه. وقبل أن تلاحظ، كانت الطائرة قد أقلعت، ولم تعد تشعر بالقلق. وضرب رالف طرف أنفها مداعباً:

ـ أرأيت.. الأمر ليس سيئاً.. صحيح؟

واستوى على مقعده وهو لا يزال ممسكاً بيدها. وشعرت بخيبة من تصرفه العادي معها، وكأنها إحدى شقيقاته. ونسيت أنها هي من لا ترغب في أن يتقرب منها أي رجل. وأخرجت كتاباً وبدأت بالقراءة، وكان لا شيء في الدنيا يمكن أن يزعجها.

ولم يكن من الصعب ملاحظة أن إحدى المضيفات تمضي وقتاً

أطول مما هو مطلوب قربهما، وأن ابتسامتها كانت أكثر من ودية عندما تحدثت مع رالف. ونسيت كاترين أن رالف كاتب مشهور في كل العالم. ولكن هل عليه أن يكون ودوداً لهذه الدرجة مع المضيفة السويدية الجميلة جداً؟

وصرخت ماغي، بعد أن حطت الطائرة وخرجوا إلى صالون المطار وهي تفتش بين الحشد هناك.

ـ أين أخي؟

ـ ماغي!

وأقبل نحوها رجل طويل فجأة واحتواها بين ذراعيه معانقاً.

ـ دايفد!

وقبلته باشتياق على خديه، وتابعت:

ـ أنا واثقة أنك تعرف الفاسد الذي أتيت به معي.. أما تلك الجميلة فهي كاترين، التي لا أستطيع العيش بدونها.

ونظر دايفد كوينتين إلى ولده نظرة العارف بعد أن أدرك لماذا اختار ان يبقى في تشارلستون. واستطاعت كاترين أن ترى كيف سيكون شكل رالف بعد خمس وعشرين سنة... وتمتمت كاترين بصوت منخفض:

ـ شكراً لدعوتي سيد كوينتين.

ـ نحن سعداء بك، واسمي دايفد. لنحضر الحقائب ونذهب إلى المنزل. الجميع بانتظاركم منذ ساعات.

وقطب رالف جبينه.

ـ عشاء عائلي؟

ـ أمك لم يكن في ذهنها أي شيء منذ أسابيع سوى هذا العشاء والحفلة لشقيقتك. وعندما ينتهي هذا ستبدأ التفكير بالزفاف.

وحمل الرجلان الحقائب، وسار دايفيد بهم إلى سيارة بيضاء فخمة ورمى المفاتيح لابنه قائلاً:

ـ سأدعك تأخذ دور السائق بينما أتعرّف أنا على كاترين.

ولم يبدو على رالف السعادة لهذا التغيير، ولكنه لم يقل شيئاً. وخلال رحلتهم إلى «سكارسديل» في إحدى ضواحي نيويورك الثرية، اكتشفت كاترين أنها أحبّت والد رالف كثيراً. فقد كان متحدثاً لبقاً في أي موضوع كان، وعندما بدأ يقص إحدى قصصه جذب انتباه المرأتين معاً، وقال رالف بعد فترة وهو يوقف السيارة أمام منزل من طابقين:

ـ أعتقد أن هذا هو المنزل.

وساعد دايفد السيدتين على النزول من السيارة ورافقهما إلى المنزل تاركاً رالف بوجهه المنتفخ من الغضب يتعامل مع الحقائب. وقبل أن يبلغوا الباب فتح، وخرجت امرأة في أواسط الخمسينات، دون أثر للشيب في شعرها البني المصفف بشكل رائع، وامرأتان شابتان في أوائل العشرين من خلفها. وصاحت الشابتان وهما تركضان نحو السيارة لتمسكا برالف من الجانبين «رالف!» ومدت المرأة يدها إلى ماغي.

ـ ماغي كم هو رائع أن نراك ثانية.

ومع ذلك كانت عيناها مثبتتان على كاترين. التي كانت تتبع ماغي ببطء.

ـ بالنسبة لما يجري تحضيره يا صونيا.. أنت تبدين هادئة بشكل رائع.

ـ لقد اعتدت على هذا.. وهذه كاترين.. سعيدة بلقياك يا عزيزتي.

وأحسّت كاترين بإحساس غريب أن والدة رالف ليست سعيدة بلقياها كما تدّعي. وقالت صونيا لابنها وهو يقبّلها:

- رالف... ماغي ستأخذ غرفة الضيوف عند الزاوية، وستأخذ كاترين غرفة نورما القديمة.. وبالطبع غرفتك دائماً جاهزة.

ولسبب ما بدا رالف مندهشاً لتعليمات والدته، ولكنه هز رأسه قبل أن يحدّق بكاترين باستغراب، وقال:

- هل لك أن تأتي معي لأريك غرفتك؟

ونادتهما صونيا «العشاء بعد ساعة».

واشار رالف إلى باب في منتصف الردهة العلوية ففتحت كاترين الباب ودخلت. ثم استدارت لتنظر من حولها، وابتسمت له ابتسامة مشرقة:

- كم هي جميلة.

- إنها أجمل مرة أرى فيها هذه الغرفة بهذه النظافة. نورما هي الكبيرة وأول واحدة تزوجت... الحمام هناك.. وهذه الخزانة فيها مكان يكفي لثيابك.. سأدق الباب عليك عندما يحين وقت العشاء. ولا تهتمي بارتداء ثياب أنيقة للعشاء، فكلنا عاديون هنا.

وأفرغت ثيابها في الخزانة. وبعد حمام سريع مشطت شعرها، وارتدت جينز بلون أسود وكنزة خضراء مفتوحة العنق..

وقبل الوقت المحدد، قرع أحدهم الباب. وناداها رالف:

- هل أنت مستعدة يا كاتي؟

وفتحت الباب وخرجت، ونظر إليها نظرة إعجاب قائلاً:

- آمل أن تكوني مستعدة للقاء العصابة.

وارتفع صوت كاترين بذعر:

- الجميع؟

- لا تخافي.. لن يعضّك أحد.

بالطبع، لم يكن رالف قد شاهد تلك النظرة التي رمتها بها صونيا كوينتين عندما وصلت.. ما السبب يا ترى حتى لا تحبها تلك المرأة؟

لأول نظرة بدت الباحة المقفلة مليئة بالناس. ولم يكن صعباً إيجاد شقيقات رالف. كلهن كان لهن نفس لون الشعر، ونفس تقاسيم الوجه.

نورما كوينتين ميردوك، في الواحدة والثلاثين، متزوجة ولها طفل صغير، وكانت طويلة ونحيلة جداً، زوجها براد، لطيف جداً، عادي جداً. غوين، في التاسعة والعشرين، جعلت شعرها أشقراً أكثر بصبغه واعتبرتها كاترين بينها وبين نفسها أميرة العائلة، بدت وكأنها خارجة لتوها من معرض أزياء، وحدّقت بكاترين وكأنها تظن أن هذا الجمال ذو الشعر القاتم قد أتى من كوكب آخر. زوجها ارنولد كان مديراً في إحدى المؤسسات الألمانية للكومبيوتر. جانيت كانت تتألق كما يجب لفتاة مخطوبة، خطيبها الشاب الطويل، تيد. بدا وكأنه لا يزال تلميذ مدرسة، وبقي ملاصقاً لها. هي وفيليس، الأصغر سناً، هما من حيّتا رالف عندما وصل.

وبمضي الوقت، والسهرة مستمرة، بدأت ماغي تسترخي، وكذلك غوين، والجميع.. ما عدا صونيا كوينتين، فقد بقيت على حكمها المتحفظ تجاه كاترين، ولم تستطع كاترين معرفة السبب.

بعد العشاء، دخلت العائلة إلى غرفة الجلوس العائلية الكبيرة. وفيها طاولة بليارد كبيرة، وخزانة للمشروبات عند أحد أطرافها، وتلفزيون وستيريو في الجانب الآخر. دايفد، رالف، وبراد بدأوا على الفور بلعب البليارد وفضّل أرنولد أن يتفرج، بينما جانيت وتيد اختارا بعض التسجيلات الموسيقية للرقص، ولم يمض وقت حتى أصبحا بين ذراعي بعضهما، وأخذت ماغي كاترين الى أريكة جلدية لتنضم إلى الحديث مع صونيا، غوين ونورما وفيليس.

ووجدت كاترين صعوبة في إزاحة نظرها عن الجهة المقابلة من الغرفة. كان رالف قد رفع أكمام قميصه إلى الأعلى وبيده عصا البليارد، يضحك ويمزح مع أبيه وصهريه. وأحسّت كاترين برعدة في جسدها عندما نظر نحوها. ما زالت غير قادرة على فهم لماذا دُعيت إلى هنا. وكأنها فكرة ماغي، ورالف لم يعطها أية إشارة فيما إذا كان يرغب في قدومها أم لا.

وللحظة قصيرة التقت عيناهما باتصال كهربائي. وفتشت عيناه الصفراوان عن جواب لسؤال لم تفهمه. وأجبرت نفسها على قطع هذا الاتصال، ولم تعد تطيق أن تبقى أكثر من هذا فتمتمت وهي تقف:

ـ أظن أنني سأذهب للنوم.

فقالت ماغي:

ـ وأنا أيضاً. يبدو أنني لم أعد قادرة على السهر كما كنت في الماضي.

وقالت صونيا لهما:

ـ وقت الإفطار غير محدد عندنا.. تأخرا في النوم قدر ما ترغبان.

وقالت كاترين وهما تصعدان الدرج إلى غرفتيهما.

ـ هذا مدهش يا ماغي، كلما سافرتي شمالاً بدوت جنوبية أقل.

ـ أجل.. لقد كنت دائماً قادرة على تقليد اللهجات بسهولة، وعليك أن تعترفي، لا يزال هناك بعض الناس لم ينسى الحرب الأهلية، والتي على عكس الاعتقاد السائد، كانت قبل أن أولد بكثير... حسناً يبدو أنني سأنام الليلة جيداً.

قالت هذا وهي تخفي التثاؤب، فسألتها كاترين:

ـ هل أنت بحاجة إلى شيء؟

ـ لا.. اهتمي فقط بنفسك.. سأراك غداً.

بعدما مرّ بها من أحداث ذلك اليوم، كانت كاترين مستعدة لتدخل

الفراش بكل سرور. وبعد أن غسلت وجهها، وفركت أسنانها، خرجت من الحمام، ولاحظت أن هناك شيء أبيض على السجادة، فانحنت لتلتقطه فوجدته ورقة مطوية فتحتها.. وكانت الكتابة فيها تقول:

«انزلي للإفطار عند الثامنة صباحاً وسآخذك في جولة على المدينة... رالف».

لم يقل.. «لو سمحتي» أو «إذا استطعتي» بل «كوني هناك» ومزقت الورقة قطعاً صغيرة ورمتها في سلة المهملات.

وبعد بضع لحظات كانت مستلقية في الفراش، وهي تغطّ في النوم.

☆ ☆ ☆

٨ ـ حزن في العينين

في الصباح التالي، تأخرت كاترين متعمدة في الخروج من السرير وارتداء ثيابها. ووضعت أقل ما يمكن من الماكياج وربطت شعرها على شكل ذيل الحصان. وارتدت قميصاً تي شيرت وبنطلون جينز، وسترة خفيفة، ونظرت إلى المرآة وابتسمت لنفسها.. مظهرها العادي البسيط كان يختلف تماماً عما يعرفه كل الناس عن كاترين ويزدوم.

كانت الساعة تشير إلى التاسعة والنصف عندما سارت كاترين إلى داخل غرفة الطعام. وادّعت الدهشة عندما رأت رالف جالساً يحتسي القهوة، فقالت له بمرح «صباح الخير» ثم تقدمت نحو الطاولة وصبّت لنفسها فنجان قهوة. وقالت وهي ترفع الإبريق «هل تريد القليل بعد؟».

ـ لا شكراً..

ـ لا أستطيع التصديق أنني تأخرت في النوم هكذا.. ما بك يا رالف؟ ألم تنم جيداً؟

ـ انا سعيد لأنك تذكرتي أخيراً اسمي.. كل مرة أسمعك تقولين سيد كوينتين أظن أنك تكلمين ابي. ولو أنني سمعتها مرة أخرى منك لكنت أعدتها إلى وجهك.

ـ شعرت بأنني أعاملك بالاحترام الملائم كابن أخ رئيستي.

ـ وهل قرأت رسالتي؟

ـ أجل، وأنا آسفة لتأخيري في النوم.

ورفع رالف رأسه بحدة ونظر إليها.

ـ أيعني هذا أنك ترغبين في الخروج؟

ـ إذا كانت الدعوة لا زالت مفتوحة.

ووقف قائلاً:

ـ سأحضر السيارة.. لا تقلقي، خذي وقتك في شرب القهوة.

وغادر الغرفة. مسرعاً، فابتسمت لنفسها.. سوف تتمتع بصحبة رالف لما تبقى من وقت الصباح، ولن تضيع لحظة واحدة.

وعندما خرجت بعد خمس دقائق، اتسعت عيناها من الدهشة لرؤية السيارة أمامها: تندربيرد كلاسيكية بيضاء لامعة ذات مقعدين، وغطاءها مطوي الى الخلف، محركها دائر بصوت منخفض كهدير القطة الصغيرة. ونظرت إلى لوحتها فوجدت عليها «رالف ١».

ـ من النظرة على وجهك أعلم أنك كنت تتوقعين دراجة نارية. أليس كذلك؟

ـ أجل إنها جميلة.

ـ لو أنك شاهدتيها عندما وجدتها. مالكها السابق لم يكن يعرف شيئاً عن قيمتها. شكلها كان جيداً ولكن المحرك كلفني الكثير لإصلاحه، والآن أصبحت تجري كالحلم. عادة أرفعها عن الأرض

عندما لا أكون هنا، وهذا يعني معظم الوقت، ولكنني لا أرغب في بيعها.

وقاد رالف السيارة ببطء إلى خارج ممر المنزل، وعندما وصل إلى الطريق الرئيسي، ضغط على دواسة السرعة حتى أقصاها، فانطلقت السيارة الصغيرة تنهب الطريق، وأخفت كاترين شهقة كادت تصدر عنها وصرخت به:

ـ ماذا بخصوص السرعة المحددة بخمسة وخمسين ميلاً؟

وخفف رالف سرعته حتى اصبحت مريحة.

ـ آسف.. عندما أركب هذه السيارة الطفلة أفقد التفكير بكل شيء.

وأخيراً أصبحت قادرة على أن ترى ما يحيط بها من الأراضي والأشجار المرتفعة، واستوت في مقعدها وبدأت تتمتع بالنزهة، وبعد فترة اتجه رالف نحو طريق ترابية، ثم أوقف السيارة. ونزل وفتح لها الباب قائلاً:

ـ ما رأيك بأن نتمشى؟

وخرجت كاترين بعد أن أمسكت بيده الممدودة إليها. وسارا مع بعضهما ويديهما متشابكتان، بصمت عبر الأشجار، مستمعين لتغريد الطيور، وخطوات الحيوانات الصغيرة، وقال رالف بهدوء:

ـ يبدو المكان هنا في أفضل حالاته في الخريف، عندما تذبل الأوراق وتبدأ بالتساقط. يبدو عندها كل شيء وكأنه مصبوغ بالبرتقالي والأحمر والذهبي والبني... منظر رائع قبل موسم سقوط الثلج.

ودست كاترين يديها في جيوب سترتها قائلة:

ـ أنا أكره البرد.

ـ لا يجب أن تكرهيه. أفضل شعور هو عندما تكونين في الخارج تكادين تتجمدي، ثم تدخلين لتواجهي دفء النار التي تؤججها

أخشاب الصنوبر.

وشعرت بأنها تستطيع تصور المنزل الذي يصفه رالف... هي ورالف يلعبان فوق الثلج، ثم يتكوران معاً أمام النار الدافئة... لو أن الأمر ممكن فقط! والتقطت عيناها حركة سريعة أمامها.

ـ أوه... رالف! انظر..

سنجابة أم وطفليها، تسلقا الشجرة، والذيل الرمادي الناعم يتحرك عند كل حركة، وفي لحظات اختفوا.

ـ هل رأيت شيئاً بهذه الروعة من قبل؟ لا بد أنها تعلّم أطفالها كيف يخبئون الطعام للشتاء.

واختفت ابتسامتها عندما لاحظت الضوء القاتم في عينيّ رالف:

ـ لماذا لم تعودي تنظرين إليّ بتلك النظرة؟ لقد كنت تنظرين إليّ بها يا كاتي أتذكر وجهك يوم عانقتك، عذب، وعيناك تلمعان. ولكنني يومها لم أكن أعرف أنني مع فتاة في السابعة عشر.

ـ لقد قلت لك إن جدي كان يمنعني من مقابلة أي شاب، لموعد.

ـ موعد؟ أهكذا ما تسمين تلك الليلة عند الشاطىء... موعد! بالتأكيد يا صغيرتي وأنا كنت وسيلة التجربة الجاهزة. ألم أكن كذلك؟

ـ لست أدري ما تعني.

ـ أعني أنك قررتي أن تكتشفي ما كان جدك يحذرك منه، وليس أفضل من رجل أكبر منك ومجرب؟ رجل كان يجب أن يكون ذكياً ويلقي نظرة على شهادة ميلادك، قبل أن يقبل بك.. أنا لم أكن أكثر من وسيلة تجربة لك.

ـ تجربة! ماذا تعني بالتجربة؟

ـ من الواضح أن كل الفتيان في مدرستك كانوا يعرفون بأمر جدك، وكانوا خائفين منه، وهم على حق. وقررتي أنني سأنفعك، بما أنني لم أكن أعرف شيئاً عنك... وكان عليّ أن اعلّمك حقائق الحياة...

أليس كذلك؟

ـ أنت كنت من نظر إليّ في حفلة الرقص، وليس العكس.

ـ ولكنك أنت من تجنبني أي سؤال عن عمرك الحقيقي... لقد استخدمتيني كنوع من التجارب.

ـ لا... أنا لم أستغلك أبداً.

ـ لا... صحيح؟ ولا حتى لاكتشاف شيء ما؟ لم يكن أحد قد عانقك قبلي.. أليس كذلك؟ ولم يلمسك أحد هكذا.

ومد يده إليها ينقلها من مكان الى مكان، فذعرت وحاولت أن تسحب نفسها بعيداً عنه، وعن لمساته المهينة.

ـ توقف عن هذا!

ولكنه رفض أن يتركها، فقالت بغضب:

ـ أنت تحاول أن تجعلني أبدو وكأنني كنت مراهقة مجنونة... وأنا لم أكن هكذا وأنت تعرف!

ـ ألم تكوني متشوقة لمعرفة لماذا منعك جدك عن الرجال؟ ألم تقرري أن أعلمك ما أردت أن تعرفيه؟ ألم تدفعيني متعمدة إلى أقصى الحدود، وأنت متأكدة أنني سأتوقف عند الحدود قبل أن تفلت الأمور من يدك؟ حسناً يا حبيبتي، أنت لم تكوني ابداً آمنة معي، وهذا شيء سأبرهنه لك في الحال!

وجذبها بقوة إليه، ولم تستطع سوى أن تهمس.

ـ رالف... لا.. أرجوك لا تفعل هذا.. لن يفيدك هذا التصرف.

ـ ولماذا لا؟

ـ انت تعرف جيداً لماذا، بعدما حدث مع إيدي.. الرجال فقط.. فقط.

ـ فقط ماذا يا كاتي؟

ـ مشكلته أنه تصرّف معي كالثور الهائج. لم أكن أنوي أبداً إبداء

مثل هذه المقاومة.

وجذبتها ذراعاه أكثر... وقال:

ـ لا زلت أذكر تلك الليلة عند الشاطىء. لم تكوني باردة أو غير مستجيبة، في الواقع كنت بعيدة عن هذا كثيراً.

وحضّرت نفسها لمشاعر الثورة التي شعرت بها مع إيدي، ولكنها لم تظهر. كيف؟ هذا هو الرجل الذي أشعرها بأن مشاعرها حية فيها! فكيف يمكن أن تشعر بالخوف منه؟

ـ هل أخيفك يا كاتي؟ هل أجعلك تشمئزين؟

وهزت رأسها، غير قادرة على الكلام أو النظر إليه، ثم همست:

ـ ما تفعله خطأ... لا يجب أن نقوم به.

ـ استرخي.. واتركي العنان لمشاعرك. عندما تنظرين إليّ أفكر بزهر البنفسج الناعم المخملي. لديك أعماق مخبأة يتمنى الرجل أن يغرق فيها دون أن يعود إلى السطح ليتنفس.

وأبعدها قليلاً عنه ونظر إليها بارتباك:

ـ لم تجيبي على سؤالي... هل أخيفك؟

فابتسمت له قائلة:

ـ أنت لم تعطني أية فرصة لأخاف منك.

كان أمامها نفس الوجه الذي نظرت إليه بشغف منذ سبع سنوات وهناك خطوط خفيفة حول العينين لم تكن يومها ظاهرة، وخيوط رمادية على صدغيه، ومع ذلك فلا شيء يمكن أن يغيّر الرجل الذي تتذكره.

وابتعد عنها قليلاً، ولكن أصابعهما بقيت متشابكة فهمست:

ـ لِمَ تغيرت فجأة؟

ـ كان عليّ أن انتظر إلى الوقت الذي لا أعود أخيفك به، لقد اخافك إيدي كثيراً. وكان يجب أن أعاملك بلطف حتى تستعيدي بعض الثقة بنفسك... وأعترف أنني فكرت بك بسوء يا امرأة. ولكن

لم أرد أن اخيفك ثانية، كما تلك الليلة.

ـ ولكنك لم تخيفني تلك الليلة يا رالف.. وأنت تعلم.

ـ ربما لم أخيفك.. ولكنك أخفتيني بالتأكيد. كنت أعلم أنك بريئة، ولكنني لم أكن محضراً لذلك الغليان في دمك..

ـ لم يلمسني أحد مثلما فعلت، من قبل.

ـ أعلم هذا... ولذلك هربت منك لأسبح.

ولم تستطع أن تنظر إليه، وأحسّت به يبتسم. وانزلقت يداها تحتضنه وتشد بنفسها إليه. ولكن تعاليم جدها كانت لا تزال متشبثة في عقلها بقوة. وبدأت تشعر بأنها تهوي إلى هاوية لا قرار لها ولا رجوع منها، فوضعت يديها على صدره ودفعته عنها، وقالت وهي تلهث:

ـ لا... لا مزيد... أرجوك.

ولم يحاول رالف المناقشة معها، فابتعد عنها وهو يتنفس بعمق ليسيطر على أعصابه. وجلست كاترين فوق العشب، مريحة رأسها على ركبتيها.. لم تكن قد نسيت ماذا تفعله بها لمسة رالف، ولكنها نسيت تماماً أنها معه تنهار بسرعة. وهي لا تستطيع تحمل هذا.

وبدأ الخجل يغزو جسدها وهي تتذكر ما جرى. ولم يستغرق رالف وقتاً كثيراً ليجذبها ثانية إلى سحره. آخر مرة حدث هذا، ثار جدها غضباً لعدة أشهر، لائماً إياها على شيء لم يحدث، وقال لها هادراً:

ـ الرجال شر! إنهم يرغبون في جسدك فقط. وهذه الرغبة هي التي جعلت من أمك مستهترة، واستحقت القبر باكراً! والأمر عائد لي لأن أتأكد أنك لن ترتكبي نفس الخطأ...

واحتجت يومها على كلامه قائلة:

ـ لم ارتكب أي خطأ! أنا ورالف لم نفعل شيئاً خاطئاً. لماذا لا تصدقني؟

ـ لأنك صورة عن أمك... وسينتهي بك الأمر مثلها تماماً.

وتدفقت الدموع من عيني كاترين لهذه الذكريات. فهي حتى الآن تحس بتأثير جدها عليها. وعودة رالف إلى حياتها لا يعني أنها ستسمح له بأن يمزق قلبها ثانية ويتركها دون أن ينظر وراءه، وكانت هذه الذكريات كافية لأن ترجف قلبها الدافىء.

ونظر إليها رالف متسائلاً، فقد أقلقه صمتها الطويل: «كاتي».

ـ ألا يجب أن نعود؟

ووقفت برشاقة، دون أن تنظر إلى الرجل الذي بجانبها.

ـ يجب أن أفكر بالاستعداد للحفلة هذا المساء.

كانت تدرك بأنها تتلعثم، ولكنها لم تهتم. كان عليها ان تبتعد عنه قبل ان تنهار مقاومتها. ومد يده، بعد أن وقف، ووضع ذراعه فوق كتفيها وأدارها لتنظر إليه وقال آمراً:

ـ انظري إليّ! لن أدعك تعودين إلى عالمك الجامد. منذ لحظة كنتِ دافئة ومتجاوبة من كل قلبك.. فلا تعودي لتجلدك الثلجي معي الآن، يا كاتي.

ـ ألن تتوقع أمك حضورنا إلى الغداء؟

ـ سأحطم كل دفاعاتك يا كاتي. وسأجد أسباب هذه الدفاعات، وسأدمّرها عندئذٍ، إلى الأبد، حتى لا تعودي قادرة على بنائها من جديد.

وعندما وجد أنه لن يتلقى منها رداً، جذبها إليه وعانقها بقوة مرة ثانية، وأخيراً أبعدها عنه قائلاً:

ـ حسناً.. لقد ربحتي.. سنعود إلى المنزل.

وسارا متباعدين قليلاً عن بعضهما نحو السيارة، وعندما فتح لها الباب وضعت يدها على ذراعه.

ـ رالف... أرجوك لا تغضب مني. هناك الكثير مما لا أستطيع أن أشرحه لك.

وكان في كلماتها رنة استعطاف.

ـ وهل ستتمكنين من شرحها أبداً؟

ولم تعلم كاترين أيهما آلمها أكثر كلماته القاسية أم ملامح وجهه المتصلبة القاسية. ودون أن ينتظر الجواب توجه إلى مقعد القيادة.

وقالت بصوت متألم وهي تصعد إلى مقعدها:

ـ أوه.. لقد فهمت الآن. كانت لعبة منك طوال الوقت. أنت كالآخرين تماماً. ما عدا أنك تنفذها بطريقة مختلفة.. عليّ أن أهنئك.

وامتلأ صوتها بالمرارة وهي تتابع:

ـ لقد اتهمتني باستغلالك، بينما من الواضح أنك أنت من استغليتني... كل كلامك المنمق حول مساعدتي للتغلب على الصدمة التي سبّبها لي إيدي كان غطاء لرغباتك الخاصة.. أنت لم ترغب في مساعدتي، أردت مساعدة نفسك فقط.

ـ أهذا هو ما تفكرين به حقاً؟

ـ أجل...

وساد صمت طويل قبل أن يتكلم:

ـ إذاً... ليس هناك ما أقوله قد يجعلك تغيرين رأيك... هيا بنا إذاً نذهب. سأتوقف في المدينة لبضع دقائق، إذا لم تمانعي.

كان يتكلم بصوت بارد، مزقّ قلب كاترين.

وقاد رالف السيارة نحو المدينة وتوقف أمام صيدلية، ثم خرج من السيارة دون أن يسألها إذا كانت تريد الخروج معه. ولكنها تبعته إلى الداخل، وهي صامتة.

قد لا يكون رالف يزور أهله كثيراً، ولكنه كان معروفاً للعديد من

الناس، وخاصة النساء، نساء شابات وجميلات. وقالت له شقراء، جميلة:

ـ رالف حبيبي، متى عدت؟

ـ الليلة الماضية، أنا هنا لأحضر حفلة خطوبة شقيقتي. ثم سأعود إلى العزلة من جديد، لأعمل على كتابي الجديد.

وتقدمت امرأة حمراء الشعر طويلة، لتعانقه بحرارة.

ـ أيها الماكر! لقد عدت دون أن تتصل بي.. أعتقد أنك لم تعد إلا لحضور حفلة جانيت.. سأراك هناك..

ـ طبعاً..

عند كل قبلة، عناق، كانت كاترين تحافظ على تعبير الضجر على وجهها، ولكنها في داخلها كانت تبكي. وبعد أن اشترى كريم حلاقة، ومعجون أسنان، وشفرات حلاقة.. غادرا المحل.

ـ آسف لتأخيرك.

اعتذاره كان عادياً جداً وهو ينظر إليها بسرعة.

ـ لا تهتم...

وتطلعت حولها دون اكتراث، كي لا تتركه يلاحظ ألمها.

عندما وصلا إلى المنزل كانت ماغي وصونيا تتناولان الغداء في الباحة الخارجية المغلقة، وقالت لهما صونيا:

ـ نتناول طعامنا بسرعة، فماغي وأنا لدينا موعد عند مصفف الشعر بعد ساعة... أنا آسف يا كاترين لا أعلم إذا كنت تحبين تصفيف شعرك، إذا أحببتِ سأجعلهم يحجزون لك موعداً.

ـ لا.. سأصففه بنفسي.. شكراً على كل الأحوال.

وسألتها ماغي، وهي تتفحص وجهها:

ـ هل تمتعتي بنزهتك؟

ـ أجل، الريف هنا جميل.

www.elkomnecia.com

صوتها كان هادئاً لا يحمل أي انفعال أو اهتمام، وقالت لها صونيا:

ـ ستتأكد الفتيات من حصولك على العديد من شركاء الرقص الليلة. مع أنني متأكدة أن هذه ليست مشكلة مع جميلة مثلك. مسكين رالف سيكون مجبراً، معظم السهرة على القيام بواجباته.

وبدا في كلامها نوع من التحذير، تحذير عنت به كاترين. وقاطعتها ماغي:

ـ لا بد أن المسكينة جائعة. اذهبي وتناولي بعض الطعام، ثم اخرجي وانضمي إلينا هنا يا كاترين، وأنت ايضاً رالف.

فقال باختصار قبل أن يختفي:

ـ لا.. شكراً.. لديّ بعض الأعمال.

واتجهت كاترين إلى غرفة الطعام، حيث ملأت طبقاً بالسلطة والدجاج المشوي، وبعد إنهاءها للطعام صبت فنجان قهوة، ثم عادت إلى الفناء حيث وجدت ماغي لوحدها. فاشارت ماغي الى كرسي وهي تقول:

ـ اجلسي هنا يا عزيزتي. صونيا ترد على الهاتف.

ـ إنها لا تحبني كثيراً.

ـ لا.. أخشى ذلك... فهي تشعر بحب الامتلاك تجاه ابنها الوحيد. حتى أنها تكدرت في الماضي للتقارب بيني وبينه. وهي تنظر إليك الآن كتهديد كبير لها.

ـ تهديد؟

ـ انت امرأة شابة جميلة من الممكن أن تخطفي رالف منها.

ـ ألا تستطيع أن ترى الحقيقة؟

وضحكت كاترين، وهي تفكر، بما حدث في الغابة، وأضافت:

ـ إنه مجرد صديق عادي، يحاول أن يساعدني على نسيان أوقات

سيئة في حياتي...

ـ الأصدقاء العاديون لا يتصرفون كما يتصرف هو معك... يجب أن أستعدّ. استفيدي من بعد الظهر للراحة، سنغادر عند السابعة.

ـ سأكون مستعدة.

بعد أن تركتها ماغي، صعدت إلى غرفتها لتتمتع بمغطس كسول دافيء. ومر بعد الظهر بسرعة أكثر مما تصورت وهي مسترخية في المغطس. ثم خرجت وجففت نفسها، ووضعت الطلاء على أظافرها. وبعد أن جففت شعرها، مشطت جوانبه إلى الأعلى، وتركته ينسدل الى الخلف بلفافات طويلة، ووضعت مشبكين على كل جانب من شعرها.

وحافظت كاترين على البساطة في مجوهراتها، ارتدت فقط قرطاً من الفضة. ووقفت وهي بملابسها الداخلية، تنظر إلى ثوبها الجديد بكل رضى... هذه السهرة ستعطي هذا الثوب حقه الصحيح. وبعد أن وضعت الروب على جسدها قررت أن تذهب لتضع الماكياج في الحمام.

لو أن بإمكان عينيّ كاترين أن تتسعا أكثر، لكانتا غطتا وجهها بالكامل. رالف كان يخرج من تحت الدوش، وبدت عليه الدهشة والذهول مثلها تماماً..

ومد يده يفتش عن المنشفة ليلفها من حوله وهو يعتذر.

ـ أنا آسف يا كاتي.. كان يجب أن أقفل الباب من الداخل.

وأحست بالنار تتصاعد الى وجهها، فاستدارت بسرعة تتعثر لتجد مقبض باب غرفتها ثم تدخلها بسرعة.

وجلست على حافة السرير، غير قادرة على إيقاف ارتجاف يديها.. ولم تكن تدري ما صدمها أكثر، هل هو استخدام رالف لحمامها، ام لأنها رأته عارياً.

ـ لقد نسيتي هذا..

وأوقع حقيبة الماكياج إلى جانبها على السرير.

ـ شكراً لك...

وأبقت عينيها مركزتين على يديها المرتجفتين..

ـ لست أدري لماذا كنت تستخدم حمامي، أو كيف وصلت إليه، ولكن أتمنى عليك أن تخرج فوراً.

فقال بهدوء:

ـ إنه حمامي أيضاً.

ورفعت رأسها لتراه واقفاً قرب السرير والمنشفة لا تزال حول خصره النحيل.

ـ ماذا تعني أنه حمامك أيضاً؟

ـ الحمام يصل بين الغرفتين.

وانخفضت عيناه ببطء. ولاحظت أن طرف روبها انزلق ليكشف عن ثيابها الداخلية. فأعادت لفه جيداً عليها.

ـ لماذا لم تخبرني منذ البداية؟ لقد دخلت إلى هناك و...

ـ ظننت أنك سمعتي صوت الدوش، وأنك عرفتي أن هناك شخص ما في الداخل.

وهزّت رأسها، محاولة أن تفهم ما يقول. ثم تذكرت شيئاً فقالت وكأنها توجه اتهاماً:

ـ لقد وضعتني أمك في هذه الغرفة!

ـ مجرد صدفة.. ولكنني أعتقد أنها ظنت أننا ننام معاً. واعتقدت أن هذا أسهل من السير بعد منتصف الليل في الممرات.

وشعرت كاترين بالغضب يغلي بداخلها. فقالت:

ـ كيف تجرؤ على التفكير هكذا؟

فقال لها رالف مداعباً:

ـ يجب ان تشعري بالسرور.

ـ ولكننا لسنا.. لسنا..

ـ ولكنني لست سيئاً لهذه الدرجة.. هل أنا سيء؟ هل وجدتي أي أثر لاستخدامي الحمام هذا الصباح؟

ـ حتى أنني لم أزعج نفسي بالنظر. لا بد أن اغراضك موجودة في الخزانة، وأغراضي في حقيبتي. واعتقدت أن الباب الآخر يقود الى غرفة فارغة. لماذا لم تخبرني.؟

ـ لقد كنت بعيدة مني ليلة أمس ولم أستطع إخبارك. لذا فكرت أن أخبرك اليوم.

ـ في كل يوم يمر أشعر أنني غبية أكثر وساذجة. لا بد أنك فكرت أن تجعل من شكوك والدتك امراً واقعاً.

ـ لا.. لم أكن أفكر هكذا.. أمامك الكثير لتنضجي قبل أن يستطيع أي رجل أن يلمسك ويجدك دافئة. لقد كنت صبوراً معك يا كاتي. ولسبب وجيه جداً، وظننت أنك قد بدأت تستسلمين لمشاعرك. ولكن يبدو أنني مخطىء. والآن اعذريني، عليّ أن أحلق ذقني، وبعدها الحمام لك.

ـ أليس هناك حمام آخر لتستخدمه؟

ـ استخدمي حمامك، ولا تقلقي، سأقفل الباب من الداخل بعد الآن.

وعاد الى الحمام وأقفل الباب وراءه.

وبقيت جالسة على طرف السرير إلى أن سمعت صوت القفل يفتح. وعلمت أن رالف قد أنهى عمله في الحمام، وتساءلت ما إذا كان قد اشتمّ رائحة عطرها، فقد كان العطر الذي أهداه لها.

وأسرعت كاترين لوضع ماكياجها، ثم ارتدت الثوب، وأقفلت السحاب ببطء وركزت الحمالات على كتفيها، ثم ارتدت حذاءها الفضي. ونظرت الى نفسها في المرآة، وأحست وكأن الفستان يعطي شعاعاً من النور الفضي الأزرق من حولها. وبدت في المرآة، واثقة النفس، متوازنة، وحتى شهية، وجهها قد يكون دون تعبير، ولكن كان هناك حزن في عينيها. ألم يقل أحدهم مرة إن العينين هما نافذتا الروح؟

☆ ☆ ☆

٩ ـ دروس فاشلة

الأمسية كانت دافئة تماماً، بحيث لم تحتج إلى معطف. وعندما سمعت قرعاً خفيفاً على الباب، أجفلت، معتقدة أنه رالف، ولكنها ارتاحت عندما علمت أن الطارق هي ماغي، التي نادتها:

ـ كاترين... هل أنت جاهزة؟

ـ أجل...

والتقطت حقيبتها وفتحت الباب، ونظرت إليها ماغي بدهشة:

ـ لقد كنت أعلم أن هذا الثوب سيليق لك.

فابتسمت لها كاترين، وقد أعجبت بالثوب الاسود الذي ترتديه.

ـ وأنت أيضاً تبدين رائعة.

وقالت ماغي:

ـ الليلة، سيعرف «اليانكي» كل شيء عن نساء الجنوب الانيقات، أريدك ان تأسريهم كلهم بسحرك.

www.elromancia.com

ـ ولماذا؟

ـ أوه.. تستطيعين تسميتها بنزوة امرأة عجوز، إضافة إلى أنني أعتقد أنك ستتمتعين بهذا متى بدأت به.

كان رالف يرفع كأس الشراب الى فمه عندما دخلت كاترين وماغي إلى غرفة الجلوس. يده توقفت في الهواء في منتصف طريقها الى فمه، واستقرت عيناه على المرأة ذات الشعر الاسود، وتحركت نظراته من طرف حذائها الفضي، عبر الثوب اللماع الازرق القاتم، الذي يلتفّ بجمال حول جسدها، ثم الى كتفيها العاريتين، ورقبتها العاجية، والوجه الوسيم الذي يحتوي على العينين البنفسجيتين، إلى أن وصل إلى الشعر الأسود البراق. وأبقت نظرتها إليه دون تعبير، وكأنها لم تلاحظ كيف أن سترته المخملية الزرقاء تبرز كتفيه العريضين، وكيف أن قميصه الأبيض يزيد بروز ملامحه السمراء.

وابتسم لها دايفد بافتتان، وهو يبدو أنيقاً بسترة السهرة السوداء.

ـ أنت تبدين جميلة جداً يا كاترين.

وكانت صونيا تبدو أنيقة أيضاً بثوبها الذهبي القاتم، وفيليس تقف إلى جانبها ترتدي ثوباً مشمشياً عاري الكتفين.

ونظرت صونيا من حولها إلى المجموعة الصغيرة..

ـ هل الجميع جاهز؟

فقال رالف:

ـ سآخذ كاترين معي في السيارة.

فقالت أمه:

ـ أنا واثقة أنها ستكون مرتاحة أكثر في سيارتنا، خذ فيليس معك.

وتجاهل رالف كلامها وتقدم نحو كاترين عند الباب. واستدار ينظر الى امه قائلاً بادب، ولكن بثبات:

ـ كاتي ستذهب معي. وسنلتقي في النادي.

وأخذ يد كاترين، وجذبها نحو الردهة ثم إلى الباب الامامي دون أن يسألها ما إذا كانت ترغب بالذهاب معه. وحاولت أن تجذب يدها منه:

ـ لقد فعلتها الآن. ماذا ستظن أمك بعدما فعلته أمامها؟

ـ لتظن ما شاءت.

إحدى الغرف الكبيرة في النادي خُصصت للحفلة، وكانت قد بدأت بالامتلاء بالناس عندما وصلا. تقديم رالف لمرافقته الفاتنة كان سريعاً ومختصراً. ومع أن العديد من الرجال اقتربوا منهما، متشوقين للقاء الجميلة السوداء الشعر بثوبها الأزرق اللماع، إلا أنه صدّ الجميع بتعليقاته المختصرة.

ـ آسف يا جيف... السيدة لا تتكلم سوى الرومانية، ولا تفهم كلمة انكليزية. وأنا أتذكر جيداً أن اللغات لم تكن من اهتمامك في المدرسة.

وقال لرجل آخر:

ـ هل تصدق أنها أم لستة أطفال؟

وأقبلت صونيا نحوهما وهي مقطبة.

ـ رالف.. الرقص على وشك أن يبدأ.

ـ وهل سيسمح لي بأن أرقص مع فتاتي المفضلة؟

ـ بالطبع..

فتمتم رالف لكاترين.

ـ أرجو أن تعذريني... ساعود إليك فوراً.

ووقفت كاترين، وقد آلمها أن دعوة رالف للرقص لم تكن موجهة لها. وللحظة شعرت بالاضطراب لوقوفها بين غرباء متسائلة كيف ستستطيع تمضية الأمسية. ولكن لم تكن بحاجة للقلق، لانها لم تبق وحدها لوقت طويل، فعندما بدا واضحاً أنها لوحدها، أصبحت محاطة

بالعديد من الرجال كلهم يطلبون الرقص معها. ولكن كلما نظرت نحو رالف وجدته يرقص مع فتاة مختلفة، وبدت كل امرأة أجمل من الأخرى. وكانت كاترين مسرورة كلما نظر اليها رالف ليجدها ترقص مع رجل مختلف.

ـ هل تشرفني الآنسة ويزدوم بهذه الرقصة؟

واستدارت كاترين، وقد تعرفت تماماً على الصوت المنخفض، وابتسم لها رالف ومد يده.

ـ أتحبين أن تعطي فرصة للرجل الذي أتى بك إلى هنا للرقص معك.

ـ أجل...

همستها له لم تكد تبلغ أذنيه وهي تضع يدها في يده. وما إن أخذها رالف بين ذراعيه، حتى خفتت الأضواء وانقلبت الموسيقى إلى نغمات «السلو» الحالمة. واخذت حركاتهما تتماوج بتناغم تام.

دفء أنفاسه دغدغ خدها وأذنها بينما عطر المسك لما بعد الحلاقة كان يداعب أنفها. وانحنى أكثر على أذنها ليقول:

ـ كنت تمتعين نفسك الليلة.. أليس كذلك أيتها الساحرة الصغيرة؟

ـ ألست مسروراً أن دروسك لي في كيفية التصرف مع الرجال قد نجحت!

ـ لم أكن اقصد أن تتمرني على هذا مع نصف سكان ولاية نيويورك.

ومررت أصابعها على خصره وتوقفت في مكان معين وقالت ممازحة:

ـ دعني أرى.. أليس ذلك الجرح موجود هنا؟

ـ توقفي عن هذا.

ـ ولماذا أتوقف؟ ألا تعتقد أمك أننا عاشقان؟ أنا واثقة أنك تسمح لصديقاتك بمثل هذه الحرية.

ـ بعد ثانيتين سألقيك أرضاً وأبدأ بتقبيلك أمام الجميع. فلا تدفعيني أكثر من اللزوم.

خلال ما تبقى من السهرة التصق رالف بكاترين. وعندما أعلن دايفد، بفخر، خطوبة جانيت وتيد، نظر رالف إلى عينيّ كاترين نظرة طويلة.

كان الوقت متأخراً عندما رافقها إلى السيارة. وجلست في مقعدها ووضعت يديها فوق رأسها قائلة:

ـ الجميع كانوا لطفاء. أعتقد أن «اليانكي».. أهل الشمال... ليسوا سيئين أبداً.

ـ طبعاً، ليس بعد أن يتذوقوا أنوثة أهل الجنوب.

خلال توجهها إلى المنزل، استدارت في مقعدها لتواجهه:

ـ لقد قلت إنك ستسافر بعد الحفلة.. إلى أين أنت ذاهب؟

ـ لم أقرر بعد.. ربما إلى المكسيك، ثم بعدها إلى كندا، حيث عرض عليّ صديق منزله..

ـ اذاً لقد أنهيت مسودة القصة؟

ـ بما يكفي ليكون لديّ وقت فراغ. لماذا لا تأتين معي؟ أنا واثق أن ماغي ستعطيك إجازة لو طلبتي منها.

دعوة رالف المرتجلة جعلت كاترين تصحو أكثر من دوش بارد، فقالت بسرعة، بعد أن استدارت في مقعدها لتنظر من النافذة.

ـ لا.. شكراً لك.

ـ لماذا لا يا كاتي عندما تكونين على استعداد لقول نعم؟ لماذا تغلقين على نفسك وراء هذا الجدار؟ مما أنت خائفة؟

وبقيت كاترين صامتة إلى أن أوقف رالف السيارة داخل الكراج. فقالت وهي تحدّق في الظلام:

- من الصعب جداً التصرف ضد كل التعاليم التي تتلقاها طوال حياتك. جدي لم يوافق أبداً على زواج أمي بأبي. وأعتقد أنه لم يكن ليوافق على أحد في الواقع... كان يقول بإنها توفيت وهي شابة لأنها تجرأت على التصرف دون إذنه. وكان يلوم والدي لأنه دخل حياتها وأخذها منه، وكان مصمماً على أن لا يحدث هذا لي. لذا لم يسمح لي بالخروج مع أحد. أنا لا أعرف الكثير عن أمي ما عدا أن فلسفتها كانت التمتع بالحياة. وقد تربيت على الاعتقاد بأن العواطف مليئة بالخطيئة، ويجب كبحها. ومن الصعب عليّ أن أفهم أنه كان على خطأ. أشعر وكأنني في معركة مستمرة مع نفسي... ولم أعد أعرف ماذا أفعل.

- لماذا لم تقولي لي يومها إنك في السابعة عشر يا كاتي؟ لماذا تركتيني اعتقد انك اكبر سناً؟

- هل كنت ستستمر في رؤيتي لو عرفت أنني لم أنهي مدرستي بعد؟ لا أعتقد. تلك الليلة كنت مثل سندريللا.. ولم تتح لي فرصة ترك حذائي الزجاجي ورائي.. ولم أكن أفكر بأنني سأراك ثانية. لذا لم اجد أي خطأ في خداعك..

وأغلق عينيه وكأنه تذكّر شيئاً مؤلماً.

- تلك الليلة.. هل أذاك بطريقة ما؟ أتذكر كم كان غاضباً. لم يكن من حقي البقاء لأتأكد من سلامتك. صدقيني لقد أردت البقاء، ولكنني كنت أخاف أن تصبح الأمور اسوأ.

- جدي كان يستخدم الكلمات ليجعلها اسوأ من العقاب الجسدي. وقال لي إنك لن تعود أبداً، وإنك كنت تعبث معي فقط.

- الهذا لم تجيبي على رسائلي؟

واستدار رأس كاترين بسرعة نحوه، وقد فغرت فاها من الدهشة.

- رسائل؟ أنا لم أتلقى أية رسائل.

الصدمة في صوتها جعلت رالف متأكداً أنها تقول الحقيقة.

- لقد فعلها جدك، وهذا واضح... لم يرد أن يبدو كاذباً، لذا لا بد أنه أخفى الرسائل عنك.

وأصيب تفكير كاتي بالدوار.. لقد كتب رالف لها! ولم ينسها. لماذا أخفى جدها الرسائل عنها؟ لقد أرادها أن تعتقد أن رالف تركها دون أية كلمة. وقال رالف بصوت منخفض:

- على الأرجح لم يرد أن يخسر مدبرة منزل دون أجر. ولا بد أنه ظن أنني سآخذك منه كما فعل والدك عندما أخذ أمك. لقد كان محظوظاً معك أكثر بتسميم أفكارك ضد الرجال. واستخدمني كمثال رائع.

- رالف... ماذا قلت لي في تلك الرسائل؟

- لماذا الخوض في الماضي الآن.

وضحك ضحكة خشنة، وفتح باب السيارة وخرج مستديراً إلى ناحيتها، ثم فتح لها الباب.

دخلا المنزل بصمت متوتر. وأمام باب غرفة نومها أمسك بيدها، ونظر إليها بطريقة حميمة هزتها حتى قدميها. وشعرت بخيبة أمل غريبة عندما لم يعانقها، ولكن، كيف تتوقع منه هذا بعدما قالته له؟

- لقد كانت حفلة جميلة.

- تصبحين على خير يا كاترين... نامي جيداً.

بعد أن اغلقت باب الغرفة أضاءت احد المصابيح، وخلعت ثوبها واندست في روبها ودخلت الحمام، ثم نظرت إلى الباب الذي تعرف

أنه يقود إلى غرفته.. هل تقفله؟ كانت تعرف أنه لن يفتحه دون دعوة منها، بعد كل ما حدث. وقررت أن لا تقفل الباب وعادت إلى غرفتها.

وبعد أن ارتدت غلالة نوم زرقاء، التقطت فرشاتها وأخذت تمشط شعرها. وشعرت أن النوم بعيد عنها فسارت نحو النافذة وفتحتها. كان القمر يرسل نوره على الدنيا في الخارج... ودون أن تقصد، اندفعت أفكارها نحو رالف.

وبعد فترة من التفكير، وعلى الرغم من أنها لم تكن تشعر بالنعاس، انسلت بين أغطية السرير ورفعتها حتى ذقنها، وبابتسامة خفيفة على شفتيها استعادت ما حدث هذه الأمسية، ولكن أفكارها دائماً كانت تتجه لرالف... وأخيراً غرقت في سبات عميق.

الصباح التالي مر بتكاسل. ماغي وصونيا تمددتا على كرسيين للنوم واخذتا تتناقشان حول الحفلة، والإشاعات التي سمعتاها خلالها. رالف خرج دون أن يترك كلمة لأحد، جانيت كانت على موعد مع تيد، وخرجت هي الأخرى، وجذبت كاترين أحد المقاعد إلى الشمس وجلست عليه، وفتحت كتاباً، ووضعت نظارتها على أنفها، واستغرقت في قراءة الكتاب.. حتى أنها لم تلاحظ أن ماغي كانت تتحدث معها قبل وقت طويل.

- ماذا؟.. أنا آسفة يا ماغي.

- كنت أريد فقط أن أعرف إذا كنت تتذكرين اسم المرأة التي قامت بصنع ذلك التطريز الرائع.

وفكرت كاترين للحظات ثم قالت:

- ليزا فاراواي.

- لست أدري ماذا أفعل بدونك. أنا لست شخصاً منظماً، ولكن لا

داعي لقلقي بوجود كاترين.. إنها تبقي على ترتيب كل شيء لي.

قالت صونيا، عندما سنحت لها فرصة لتكون لوحدها مع كاترين:

- بالطريقة التي تتكلم بها ماغي عنك، يبدو أن ليس لديك وقت فراغ لتعتني بنفسك.

- أنا سعيدة تماماً للوقت الذي أحصل عليه. أخشى أنني لست شخصاً اجتماعياً كثيراً. وأنا أعيش حياتي كما اشاء، وذلك لوحدي.

والتقت عيون المرأتين... وتابعت كاترين:

- انا ورالف لسنا عاشقين سيدة كوينتين. لقد كان صديقاً طيباً عندما كنت أحتاجه، ولا شيء غير هذا.

وبدا على صونيا الارتياح لهذه الكلمات الهادئة.

- ليس لديّ شيء ضدك. وأعتقد أنك تستطيعين القول إنني لا أوافق على نمط حياة رالف، ولفترة ما، ظننت أنه أتى بهذا النمط معه إلى هذا المنزل. كان عليّ أن اسعى لأعرفك أكثر، عندها كنت استطعت أن أعرف أي نوع من الأشخاص أنت. وأتمنى أن أعوض هذا لك.

- سأحب هذا كثيراً.

ولم يعد رالف إلى المنزل إلا بعد الغداء، ودهش عندما رأى والدته تتبادل الحديث مع كاترين حول الزفاف الذي سيجري في الربيع.

- أرى أنكم افتقدتموني كثيراً.

- أوه.. وهل كنت غائباً؟

- سأجعلك تدفعين ثمن هذه السخرية.

وقالت صونيا وقد رفعت حاجبيها:

- والدك يخطط لحفلة شواء لحم هذا المساء... ستكون في المنزل للعشاء، أليس كذلك؟

ـ سأكون هنا. . لقد أدرت سخّان بركة السباحة أمس، وأظن أنها ستكون دافئة للسباحة عند المساء.

وقالت له كاترين بعد أن اعتذرت صونيا للذهاب.

ـ لم أجلب معي ثوب سباحة.

ـ فيليس ستعيرك واحداً. . شرط أن يكون مثيراً. .

ـ أظن أنك تخطط لشيء يصدمني.

ـ هذا لأنك تحرجين بسهولة.

ـ حسناً لن أصدم. . .

وصاقت عينا رالف بارتياب.

ـ ما اللعبة التي تحاولين لعبها يا كاتي؟

وأمسك بمعصمها، فمالت برأسها جانباً مفكرة:

ـ لعبة؟

ولكنها لم تكن تدرك مدى تأثيرها على الرجل الذي إلى جانبها. وجذب يدها نحوه حتى أصبحت تلاصقه.

ـ إذاً. . حتى تعرفي تماماً ماذا أنت فاعلة، أقترح عليك أن تتركي هذه الألعاب لمن يعرف نتائجها. . ويرغب بها. . تستطيعين استخدام أجراس العبث الجنوبية مع اي كان، ولكن لا تحاولي معي. . لأنك قد تحصلين على أكثر مما تتصورين.

وصعد الدم الحارق الى وجهها، فجذبت نفسها منه، وهي غير واثقة ما إذا كانت غاضبة أكثر منه أم من نفسها.

ـ ليس عليك أن تقلق. . لن تكون هناك مرة ثانية.

وبكل قدرتها على السيطرة على نفسها، وقفت ثم سارت مسرعة لتبتعد عنه.

☆ ☆ ☆

١٠ ـ لا!

بعد ظهر ذلك اليوم، عندما أتت فيليس ومعها ثوبا استحمام، لتختار واحداً، تساءلت كاترين عما إذا كان لرالف رأي في اختيارهما. واختارت ثوباً أسود دون حمالات وبقطعة واحدة، وأعارتها فيليس أيضاً روباً ملوناً بالأحمر والأسود.

ومشطت شعرها على شكل ذيل الحصان، وارتدت ثوب الاستحمام والروب فوقه، ونظرت إلى نفسها في المرآة. ثم هبطت إلى الطابق السفلي ورأساً إلى الخارج.

كان رالف يقف أمام مكان الشواء، يتحدث مع والده. وقال لها بصوت منخفض:

ـ لا أتصور أن هذا الثوب جميل هكذا على فيليس.

ولف ذراعه على خصرها وقرّبها نحو مكان الشواء، فقالت كاترين:

ـ أظن أنك وعدت بالتصرف بأدب.

ـ لم أكن مؤدباً في حياتي، ولا أنوي أن أكسر هذا التقليد الآن، وخاصة مع امرأة مثيرة مثلك.

www.elromancia.com

العشاء لم يكن رسمياً. وتجمعت العائلة كلها معاً لتناول اللحم المشوي، والبطاطا المسلوقة والذرة، والسلاطة، ثم البطيخ. وأكل الجميع على الطاولة الخشبية الحمراء. وأخذ رالف طبق كاترين من يدها وقادها نحو مقعد حجري في زاوية منعزلة. وأشار إليها بالجلوس، ووضع طبقها على ركبتيها ثم جلس بقربها. وتناول الطعام بصمت. ووضعت كاترين الصحن على الأرض ومالت إلى الخلف.

ـ همم... لقد أكلت كثيراً.

ـ يا قذرة، عصير البطيخ يلوث ذقنك كلها.

وضحك رالف وأخرج منديله ونظف لها ذقنها، وبينما هي ترفع رأسها لتسهل عملية التنظيف، نظر اليها وضاقت عيناه، فهمست كاترين بخوف وهي تشعر بالحرارة تنساب سريعاً إلى جسدها.

ـ رالف.. لا!

ـ ولماذا لا؟.. يبدو أنك تشعرين بالاطمئنان بين الجمع، لذا، أقل ما يمكن أن تدعيني أنظر إليك كما أشاء.

واندفعت لتبتعد عن الفخ الذي نصبه لها، فوقفت متجهة إلى الطاولة لتساعد في تنظيف الصحون. بمساعدتها لصونيا وماغي أملت أن تستعيد صفاء ذهنها ورباطة جأشها.

بعد التنظيف عادت النساء إلى البركة، حيث تجمع باقي العائلة، وسار رالف نحوها، ودون إنذار رفعها عن الأرض ووضعها على كتفه، وركض نحو البركة متجاهلاً صرخات الاحتجاج منها وضربات قبضتيها على ظهره. ورماها في المياه العميقة، ثم قفز وراءها. ولم تفكر كاترين بإغلاق فمها وانتهى بها الأمر إلى ابتلاع الماء. وصعدت إلى سطح الماء وهي تبصق وتسعل. وقال رالف وهو يضرب الماء مبتعداً عنها:

ـ هناك طريقة ملائمة أكثر للدخول إلى البركة يا كاتي.

ـ اوه.. أنت!

وضربت الماء بيدها رافعة الماء إلى الأعلى فوقعت قريباً من الهدف، فضحك، وغاص تحت الماء وسبح هارباً منها.

وكره الجميع بأن يتركوا البركة على الرغم من ان السماء اكفهرت، وبدأ الهواء يبرد. واستلقت كاترين لتطوف على ظهرها، فوق الماء وشهقت عندما التفت ذراع حول خصرها، وقال لها رالف:

ـ عليك بالحذر أكثر هنا. قد يكون هناك بعض أسماك القرش... يا سيدتي..

ولم تستطع العوم وهو ممسك بها فتمسكت بكتفيه وقالت:

ـ كلمة الذئاب مناسبة أكثر.

ودهشت للصمت من حولها، فنظرت لتجد أنهما لوحدهما. ونظرت إليه طالبة تفسيراً.

ـ يبدو أننا الوحيدان هنا. لقد تخلى الجميع عن السباحة منذ وقت طويل.

وشعرت كاترين بحرارة يد رالف تدفيء جلدها. فقالت دون أن تنظر إليه:

ـ اذاً علينا أن نخرج من هنا.

ـ ألا تتمتعين بالماء؟

ـ أجل.. بما أن الجميع دخلوا إلى المنزل، فلا يجب أن نبقى هنا.

وأحست بحاجتها لأن تكون بعيدة عنه، وبالخطر في بقائها وحيدة معه. وجرّها رالف إلى الناحية الضحلة من البركة، حيث يستطيعان الوقوف.

ـ هل أنت خائفة الى هذا الحد مني يا كاتي؟

وجذبها إليه، وشد عليها.

ـ لا تحاولي المقاومة يا كاتي.. أنت لا تدركين أننا خُلقنا لبعضنا، فاتركي كل شيء يمضي على طبيعته. ولن تندمي.. أعدك.

ـ أترك ماذا على طبيعته؟ علاقة عابرة بيننا؟ ثم فجأة تختفي في مكان ما لتكتب كتاباً آخر. وربما أكون هذه المرة إحدى شخصيات كتابك. أهذا ما تريده لي؟ بحث عن كيفية إذابة جليد امرأة باردة؟ لا تطلب هذا مني يا رالف... هذا ليس إنصافاً، لا أستطيع تقديم أي شيء لك.

واكفهر وجهه بالغضب.

ـ لو أنك تستمعين لنداء قلبك مرة واحدة، لكنت أدركت أنك تستطيعين تقديم أكثر مما تحلمين به.

ـ هل سيكون هذا مجال المعركة بيننا دائماً؟ أن تطلبني وأن أقول لك دائماً لا؟ تعدني بأن تكون صديقي ثم تنقلب فجأة لإغوائي؟ أنا لا أؤمن بالعلاقات العابرة يا رالف..

ـ سأكون الرجل الوحيد في حياتك يا كاتي. لقد اعتقدتِ مرة أنك ستنجحين مع ايدي، ولكنك لم تنجحي... لا يمكن لأحد أن يرى ما بداخلك سواي، وأنا أنوي أن أراه الآن.

ولمعت أمامها صورة باربرا دانتون، وما لا تعرف عدده من النساء. فقالت:

ـ أنا واثقة أن لديك الخبرة التي تكفي لأن تتلقى استجابة من أي امرأة، حتى أنا...

ـ يجب أن تكوني ممتنة بأنني لست من النوع الأحمق.

وامسكت كاترين بكتفي رالف، دون أن تعي أن أظافرها تغرز في جلده. وأحسّت بكل عصب فيها يتوتر. وأحست بالهزيمة. رالف على حق. إنها ترغب به. ولكن السنوات الكثيرة من تعليم جدها لها كانت

أقوى من مشاعرها الجديدة. كانت لا تزال تشعر بجسدها يقاوم، ولكن هذا لم يوقفه. فقالت بصوت متوسل مرتجف:

ـ أرجوك.. لا تجبرني على أن أكرهك وأكره نفسي يا رالف.

وأجفل رالف لكلماتها، وتراجع قليلاً، وأمسكت أصابعه بذقنها، وأدار وجهها اليه، وقال وهو بالكاد يسيطر على كلماته:

ـ هناك أوقات أعتقد فيها أنني أفضّل كراهيتك لي.. لا تقولي أبداً انك غير مبالية بي، لأن لديّ الدليل أنك تشعرين عكس ذلك.

وأخذ بيدها ومررها فوق كتفه.. وذعرت عندما أدار يدها بقوة ليريها أثر الدم على يدها.

ـ هل هذا دليل عدم اكتراثك بي يا كاتي؟..

وجذبت نفسها منه لتفلت خارجة من البركة. ولحسن حظها كان الجميع داخل المنزل، فاستطاعت أن تهرب إلى غرفتها دون أن يلاحظها أحد.

بعد وقت طويل.. سمعت طرقاً على باب الحمام الذي كانت قد أقفلته من الداخل عندما دخلت الغرفة.

ـ كاتي؟

وحاولت ألا تتجاهل نداء رالف ولكنه لم يتراجع

ـ إذا لم تفتحي هذا الباب سأكسره!

كانت تعلم أنه يعني ما يقول... ولكنها ترددت في أن تفتح الباب.

ـ كاتي.. هل أنت بخير؟

ـ طبعاً.. ولو كنت تسمح، أنا تعبة، وأحب أن أنام الآن.

ـ تصبحين على خير إذاً.

لم تذكر كاترين كيف بدأ الحلم، أو حتى عما كان يدور. كل ما

تذكره أنها سمعت أصواتاً عالية فوق رأسها ثم أضيئت الغرفة وكأن السماء كلها تحترق. فجلست في السرير وهي تصرخ. وفي أقل من لحظة فُتح الباب الموصل بين غرفتيهما ودخل رالف الغرفة.. وسألها بصوت متقطع:

ـ هل أنت بخير؟

ـ أجل.. أنا آسفة. لقد أيقظتني الصاعقة من كابوس.

واضاء البرق الغرفة من جديد، فعبر رالف الغرفة ليغلق الستائر.

ـ هذا سيساعدك قليلاً.

واستدار، فضاقت عيناه عندما رآها تجلس في السرير بغلالة النوم الشفافة. وعندما لاحظت نظرته إليها، احمّر وجهها وسحبت الغطاء إلى ذقنها. ودوت الصاعقة من جديد فأجفلت.. ثم قالت بصوت مختنق:

ـ أعتقد أنني متوترة قليلاً هذه الليلة.

ـ ألسنا جميعاً متوترين؟

وأمال رأسه ليستمع إلى صوت الرعد.

ـ العاصفة تتحرك مبتعدة.. أتستطيعين العودة إلى النوم الآن؟

ـ أجل... شكراً لك.

ـ إذاً تصبحين على خير آنسة ويزدوم. نامي جيداً.

عندما هبطت إلى الطابق السفلي لتناول الإفطار في الصباح التالي، كان على وجهها مسحة خفيفة من المكياج تخفي أثر القلق الذي سيطر عليها في الليلة السابقة. وكانت صونيا في غرفة الطعام تشرب قهوتها وتتحدث إلى ماغي. وحيّت المرأتان كاترين بحرارة، دون أن تلاحظا ملامح وجهها المتوترة، واستدارت ماغي ثانية إلى صونيا لتتابع حديثها:

ـ إذاً لقد ذهب رالف في إحدى رحلاته المعتادة، أليس كذلك؟

ـ أجل. أعتقد أنه قرّر السفر إلى كندا. ومن يعلم أين سيذهب بعد هذا، او كم سيبقى غائباً. أنت تعلمين كيف يتصرف عندما يكون متوتراً.

وضاع صوت صونيا وسط الدموع التي حاولت اختراق عينيّ كاترين. وعلى الرغم من الصدمة التي شابهت الهزة الأرضية، إلا أن وجهها لم ينمّ عن أي مشاعر داخلية.

رالف سافر، ولا تعرف كم سيطول غيابه. حتى أنه لم يودعها. وتساءلت ما إذا كانت ستراه ثانية، وما إذا كانت ستستعيد راحة بالها ثانية.

لم تتذكر كاترين شيئاً مما حدث فيما تبقى من ذلك اليوم... كانت تتحدث، تبتسم عندما يكون هذا ضرورياً، ومع ذلك فقد خبا الوميض من عينيها، والنشاط من صوتها.

وأفاقت باكراً في اليوم التالي لتكمل ترتيب آخر ما تبقى لها من أغراضها، وبقيت نظراتها متجهة نحو غرفته، ثم توجهت أخيراً نحو بابها وأدارت المقبض، ولم تكن غرفته مقفلة.

كانت ديكورات الغرفة الكبيرة باللونين الذهبي والأزرق، وعلى الجدران رفوف ملئت بالكتب، والتذكارات الرياضية، ومجسمات الطائرات والسفن. حتى السرير الضخم كان مصمماً لراحة جسد رالف الطويل.

وتجولت كاترين ببطء في الغرفة، ومرّرت أصبعها فوق حافة خزانة الجوارير، وابتسمت لصورة رالف يرتدي ثوب المدرسة الثانوية. وعلى الطاولة وجدت البوم صور، ومن دون التفكير مرتين التقطته ثم جلست على المكتبة لتنظر إلى محتوياته.

www.elromancia.com

ولم تتمالك نفسها من الابتسام، لمشاهدتها صور رالف الصغير وهو يرتدي ثياب لعبة «البايسبول» وكرة القدم، ثم لصورته وهو يضحك ممسكاً بسمكة اصطادها، وكان هناك ايضاً صور له في ثياب سهرة رسمية يقف إلى جانب العديد من النساء الشابات. وتنهدت بعمق، ثم أقفلت الألبوم وأعادته مكانه.

بعد هذا بساعتين، صعدت هي وماغي إلى الطائرة عائدتين إلى تشارلستون. ولم تعلق ماغي بشيء على ما بدا على كاترين من هدوء غير عادي، أو على قسماتها من توتر.

أمضت كاترين أيامها، يوماً بيوم. في الصباح كانت مشغولة تماماً بمراسلات ماغي، ولكن بعد الظهر دائماً كانت بلا عمل. وخلال هذه الساعات الطويلة كانت تذهب إلى الشاطىء، لتسير دون هدف عند حافة المياه. أو تخرج وهي ترتدي الشورت والقميص وحذاء الركض، لتجري في الطرقات، محاولة إجهاد نفسها، لتتمكن من النوم ليلاً. فهي لم تكن ترغب في التفكير برالف أو بما قد يكون يفعله أو مع من هو. ولكن هذا كان يجلب إليها المزيد من الألم. وكانت خائفة من أن تتعرف على شعورها الحقيقي نحوه، لأن ذلك قد يجبرها على الاعتراف بأنها تحبه. وكانت تسأل نفسها عما إذا كانت تحبه حقاً، ولو أنها تحبه، ألا ترغب في معرفة أين هو بالضبط وأن تذهب إليه؟ ألا ترغب في أن تكون معه مهما كلّف الأمر؟ ولكنها بدلاً عن ذلك كانت تنطوي على نفسها، وقد قررت أنه إذا كان رالف غير مهتم كفاية بالاتصال بها، فهي ليست بحاجة إليه. وجاهدت كي تقنع نفسها بأنه كان ينظر إليها كتحدي، كشخص استطاع أن يقاوم محاولاته بإغوائها. وحتى الآن، لم تكن متأكدة من أنها كانت تستطيع إرضاءه، مع أن اعماق نفسها كانت تقول لها العكس.

وفي أحد الأيام حدّقت بها ماغي بنظرة منتقدة:

ـ يبدو عليك الشحوب. هل أنت بخير؟

ـ أنا على ما يرام. أظن هذا من تأثير الطقس.

ثم غيّرت الموضوع بسرعة، فماغي حادة الذكاء وقد تستطيع أن تعرف السبب الحقيقي لفتور همتها.

ومر الأسبوع الأول، وأقنعت كاترين نفسها بأن الأمور ستكون على ما يرام. وبدا الاسبوع الثاني أطول، ولكنها استطاعت أن تتخطاه، أيضاً.

وهلّ الأسبوع الثالث، ولم يصل أي خبر عن رالف. وامتلأت نفس كاترين بالعصبية التي احتاجت إلى تنفيسها. بعد ظهر أحد الأيام، وماغي قد خرجت، قررت كاترين أن تخرج لتركض. ولم تكد تقطع نصف الطريق حتى بدأ المطر ينهمر، فلم تعد تستطيع الركض خوفاً من الانزلاق، فلجأت إلى المشي، وهي تحني رأسها لتبعد المطر عن وجهها، وما أن وصلت إلى المنزل حتى كانت غارقة بالمياه.

وصعدت الدرج ببطء، وكل عظام جسدها تؤلمها. ولم تكد تصل إلى غرفتها حتى وصلت باميلا، إحدى الخادمات، وساعدتها على ارتداء روبها ثم حضّرت لها حماماً ساخناً، وساعدتها لدخول الفراش.

وعندما وصلت ماغي، علمت بأمر تبلل كاترين فسارعت إلى غرفتها لتطمئن عليها.

ـ ماغي، أنا بخير... أنا بخير حقاً..

وعطست مرتين، وجذبت الغطاء فوقها أكثر. فقالت ماغي بحدة:

ـ لقد أصبت نفسك بالبرد. سأتصل بالدكتور ابراهام. وأطلب منه أن يحضر الليلة.

ـ لا . . أرجوك. بعد أن أنام الليلة جيداً سأكون بخير، صدقاً . .

ـ حسناً سنرى كيف تصبحين.

في الصباح كان وجه كاترين متورداً من الحمى، وقال الدكتور لماغي بعد أن استدعته.

ـ لقد ركضت تحت المطر، وقد تكون مصابة بنزلة رئوية. وستحتاج لمراقبة دائمة. . . ويجب أن تُنقل إلى المستشفى.

ـ ستتلقى حباً ورعاية أكثر هنا، يوجد ما يكفي منا هنا لمراقبتها باستمرار.

وتنهد الدكتور، ثم جلس ليكتب عدة وصفات طبية، وأعطاها لماغي.

ـ طبقي هذه الوصفات فوراً. وإذا حدث أي تغيير، استدعيني فوراً. وراقبي سعالها. فإن صوت سعالها لا يعجبني. سأترك لكم لائحة طويلة بالتعليمات وأريد أن يطبق كل بند منها.

ونظرت ماغي إلى كاترين المضطربة، والقلق العميق في عينيها، وقالت واعدة بهدوء.

ـ لا تقلق حول هذا الأمر يا دكتور.

☆ ☆ ☆

١١ ـ حقيقة كالحلم

مر الوقت على كاترين وهي غائبة عن الوعي الكامل. الناس أمامها كانوا أطيافاً غير واضحة المعالم. كانوا يبدون وكأنهم يترنحون أمامها، يساعدونها على شرب هذا وابتلاع ذاك. كل ما وعته أن رأسها كان يؤلمها كثيراً، وأن جسدها كان يحترق بحرارة لم يكن ممكناً أن تبرد. وأخذت تتقلب في فراشها محاولة التخلص من الحرارة التي بدت وكأنها تأكلها، ولم تكن تطيق أي غطاء فوقها وكانت تركله بقدميها باستمرار.

ـ حاولي أن تبقي هادئة يا كاترين. هذا لصالحك يا عزيزتي.

صوت ماغي بالكاد وصل الى رأسها المحموم. وتمتمت وهي تتقلب من جانب إلى آخر.

ـ أشعر بالحرارة الكبيرة.

بعد قليل ظهر وجه جديد أمام عينيها. ولكنها كانت تعلم أنه جزء من حلم. فرالف موجود في كندا، ولا يعرف أحد متى سيعود، هذا

www.elromancia.com

إذا عاد. وهذا الذي يجلس على حافة سريرها يمسك بيدها الساخنة بين يديه الباردتين، ليس هو. وهمست عبر شفتيها الجافتين المشققتين وعيناها تحترقان بالحمى.

ـ أنت لست حقاً هنا.. لقد ذهبت عني.. لقد ذهبت.

ولامست يد باردة خدها الملتهب، بحنان رقيق:

ـ هس يا كاتي.. عليك أن ترتاحي وتبقي هادئة.

وتابعت كاترين هذيانها:

ـ ولكنك لست هنا حقاً.

وأكد لها رالف بهدوء.

ـ ولكنني هنا.. ولن أتركك.. أعدك بهذا.

وشعرت بالطمأنينة لهذا الوعد الذي تخيلته، وغطّت في أول نوم عميق لها، وتنفسها اصبح هادئاً وطبيعياً. ووقفت ماغي قرب السرير وإحدى يديها على كتف ابن اخيها. وقالت بصوت منخفض:

ـ لن تسامحني لأنني اتصلت بك!

ـ لا تقلقي، لم أكن لأسامحك لو لم تتصلي بي.. لماذا لا ترتاحين قليلاً؟ سأبقى بقربها الليلة.

ـ شكراً لك لأنك أتيت.

وانحنت ماغي لتقبّل وجنتيه قبل أن تستدير وتغادر الغرفة.

ومطت كاترين جسدها، وتأوهت بصوت خافت وهي تفتح عينيها لتنظر من حولها الى الغرفة النصف مظلمة. كان هناك مقعد قرب سريرها، ورالف ممدد عليه، نائم. وشعره الذهبي القاتم يتدلى على جبهته. وذقنه قد نما عليها الشعر قليلاً، وثيابه تبدو وكأنه لم يغيرها منذ أيام. وتمطى بدوره، مادا يديه إلى فوق رأسه، ثم فتح عينيه وكأنه أحس بنظرة كاترين إليه، فقالت بصوت خافت:

ـ لقد ظننتك طيفا من مخيلتي.

وقال بفرح وهو يستوي في جلسته:

ـ حسناً.. أنا لست كذلك.

ومد يده ليضعها أولاً على جبهتها ثم على خدها:

ـ يبدو أن الحمى قد ذهبت عنك.

ـ كم مضى عليّ وأنا مريضة؟

ـ خمسة أيام أو ستة تقريباً.

واتسعت عيناها وهي تستوعب ما يقول.

ـ وكم مضى عليك وأنت هنا؟

ـ أربعة أيام تقريباً.. لقد كنتِ مريضة جداً يا كاتي. لقد كان الطبيب مصرّاً على نقلك إلى المستشفى، ولكن ماغي شعرت بأنك بحاجة إلى عناية خاصة وشخصية منها لا تستطيعين الحصول عليها إلا في المنزل. مما فهمته كل هذا حصل بسبب إهمالك لنفسك.. كنت لا تأكلين كثيراً، وتجهدين نفسك ولا تنامين كثيراً.

ـ لقد كنت على ما يرام.

ولم تستطع كبح التثاؤب، أدهشها أنها على رغم كل النوم الذي نامته مؤخراً، فلا تزال تشعر بالتعب.

ـ لا زلت بحاجة للراحة. وقد حان وقت تناولك الدواء. سأعطيك إياه ثم عودي إلى النوم.

وذهب الى الحمام ثم عاد يمسك بقرصين من الدواء وكوب ماء. ووضع يده خلفها ورفعها إلى وضعية الجلوس، ثم ساعدها على ابتلاع القرصين، وأعادها بهدوء لتستلقي على الوسادة، وقبّلها بنعومة على جبينها.

ـ والآن عودي إلى النوم.

وقالت دون تركيز، وبالكاد تستطيع إبقاء عينيها مفتوحتان:

ـ يبدو عليك التعب أيضاً.

ـ أنا أحسن حالاً منك. والآن، اتبعي أوامري وستصبحين بخير قريباً.

بينما بدأت صحة كاترين تتحسن، أخذت تتساءل لماذا عاد رالف، ولماذا لا يبدو عليه الآن أنه مستعجل للذهاب. بدا قانعاً بالجلوس معها طوال النهار، يحكي لها حكايات مسلية، ويجعل ضحكها يعيد اللون الطبيعي لخدودها الشاحبة.

ومرّ الوقت ببطء على كاترين. وبعد ظهر أحد الأيام، لم تعد تطيق صبراً لمغادرة السرير، فطوحت بالأغطية ووقفت على قدميها، ولم تكد تخطو خطوة واحدة حتى دارت بها الغرفة، وانهارت.

ـ أيتها الحمقاء الصغيرة!

وسارع رالف بالدخول إلى الغرفة والتقطها بين ذراعيه.

ـ إذا كنت تريدين الذهاب إلى أي مكان، من المفترض أن تطلبي المساعدة، لا أن تحاولي هذا بنفسك.

ـ لا أستطيع الاعتماد على الآخرين في كل شيء.

ولم يكن لديها خيار سوى أن تلفّ ذراعيها حول رقبته. فنظر إلى عينيها وقال متمتماً.

ـ أنت بالكاد بوزن ريشة. ويجب علينا أن نضع القليل من اللحم فوق عظامك.

وشعرت كاترين بالحرارة ترتفع في جسدها، حرارة لا علاقة لها بمرضها.

ـ تستطيع إنزالي الآن...

ووضعها رالف أخيراً في الفراش ولكنه أخذ وقته ليتركها، وكأنه يتردد في أن يتركها تغادر ذراعيه وقال لها بنعومة:

ـ ولكنك لم تقولي أين كنت ذاهبة.

ـ أنا.. آه.. لقد كنت أريد أن أتمشى قليلاً. لا أستطيع البقاء في الفراش.

ـ اذا كنت فتاة طيبة، وأرحت نفسك اليوم، سأساعدك على لتمشي قليلاً في الغد... هل تفعلين هذا لأجلي؟ عليّ الذهاب بعد لظهر إلى مكتب البريد، لإرسال نسخة الكتاب إلى وكيلي.. أم نفضّلين أن تسيري اليوم.

ولم تستطع كاترين مقاومة ابتسامته المتملقة، فوافقت. وأمضت بعد الظهر وهي تتصفح مجلة، شاعرة بالأسف قليلاً على نفسها، إلى أن دخلت باميلا بزهرية من الورود.. وقالت الخادمة وهي تبتسم:

ـ لقد وصلت الآن لك.

ووضعت الزهرية أمام السرير.

ـ أليست جميلة؟

ـ أجل..

وأخذت البطاقة من عمق باقة الورد الزهرية الغامقة، وابتسمت عندما قرأتها: «هذه ستضيء بقية يومك إلى أن أعود... رالف» وضحكت وهي تقول «إنه لا يتخلى عن غروره أبداً».

وانضمت إليها ماغي لتناول العشاء، الذي قُدِّم على صينيتين وضعتا قرب السرير.

ـ لقد اتصل رالف ليقول إنه لن يصل في الوقت المحدد للعشاء.

وتنهدت، وهي تقطع بحذر قطعة من الدجاج. وقالت كاترين بصوت خفيف وهي تنظر إلى وجبتها دون شهية:

ـ لا بد أنه تأخر في البلد.

وعلى الرغم من رفقة ماغي لها، فإن الأمسية كلها مرت متثاقلة، وعرفت أن هذا بسبب غياب رالف.

ووفى بوعده، فحضر بعد ظهر اليوم التالي، وكانت باميلا قد غسلت شعر كاترين، ثم جفّفته جيداً قبل أن تربطه فوق رأسها. وبمساعدة باميلا، استطاعت أن تأخذ حماماً دافئاً، ثم ترتدي غلالة نوم حريرية طويلة حتى القدمين بلون اللافندر.

وساعدتها باميلا كذلك على الجلوس على مقعد قرب النافذة، وهناك وجدها رالف عندما دخل الغرفة، اشعة الشمس تضفي عليها الدفء، وتوقف للحظة ليحدق بمنظرها، ثم قال بهدوء، ونغمة غريبة في صوته:

ـ أنت الآن كاترين.. أكثر مما تكونين كاتي. ولكنها كاترين الدافئة أكثر من التي قابلتها أول مرة.

واحمّر وجه كاترين وتقبّلت إطراء رالف بابتسامة خجلى. وتقدم منها رالف ومد يده. وأعطته كاترين يدها بسرعة، فجذبها لتقف ووضع ذراعه حولها ليدعم وقوفها.

ـ اقترح أن ندور بضع دورات حول الغرفة قبل أن نخرج إلى الخارج. كي تستعيدي قوتك فقط.

وتبين أن كاترين يلزمها عدة أيام قبل أن تستطيع الوصول إلى الدرج دون مساعدة أحد، وحتى عند هذا، أصّر رالف أن يحملها وينزل بها الدرج ليضعها على مقعد في غرفة المطالعة الصغيرة، ويلّفها جيداً ببطانية.

وقال الدكتور ابراهام عندما دخل الغرفة يوماً وماغي خلفه.

ـ هذا ما كنت أحب أن أراه. مريضة تتّبع تعليماتي حرفياً.

ـ يبدو أنني لم يكن أمامي خيار آخر... لقد امتلأت بعصير

الفاكهة حتى أنني أشعر وكأنني شجرة مثمرة!

ـ يمكن أن أوافق على هذا إذا استمريت على صبرك. ولن يؤذيك أن تخرجي إلى الهواء الطلق لمرات محدودة طالما كان الطقس جيداً. ولكن لا تتجاوزي الحدود.

وقالت ماغي مؤكدة له:

ـ سنتأكد تماماً من هذا.

في أحد الأيام المشمسة دهشت كاترين لمرأى باربرا دانتون المتجهمة الوجه تقترب منها وهي جالسة في الفناء. مرتدية بنطلون الجينز الذي يلف جسدها والقميص الملون، وشقرتها الأخاذة التي لا يستطيع أي رجل تجاهلها. وقالت لها كاترين بأدب:

ـ مساء الخير سيدة دانتون... هل أستطيع خدمتك بشيء؟

وقالت باربرا بشكل صريح، وهي تنظر إليها بريبة:

ـ أنت بالتأكيد لا تبدين مريضة.

ـ إذاً من الواضح أنك لم تتكلمي مع من يعرف جيداً. مما سمعته، لقد كنت مريضة جداً.

ـ خلال الثلاثة أسابيع الماضية كان رالف مشغولاً دائماً. وظلّ يقول لي إنه يجب أن يعتني بك... لقد قلت له أن يستأجر ممرضة، أو أن يضعك في المستشفى.. فعلى كل الأحوال أنت لست عضواً من عائلته أو ما شابه.

ـ مرحباً باربرا.

واستدارت المرأتان باستغراب لصوت رالف غير المتوقع. وانفرج وجه باربرا فوراً عن ابتسامة عريضة.

ـ حبيبي... لقد مضى عليّ وقت لم أرك فيه.

وأسرعت نحو الرجل الطويل وذراعاها ممدودتان. وعانقته أمام

اشمئزاز كاترين.

ـ لم تتصل بي منذ زمن طويل.

ـ كنت مشغولاً.

وتمتمت كاترين، وهي تدفع مقعدها إلى الخلف وتقف.

ـ اعذراني.. أعتقد من الأفضل أن أدخل.

وجلست كاترين فيما بعد على مكتبها، ودفنت رأسها بين يديها. وتمنت بمرارة لو أنها تفهم هذا الألم المتصاعد داخلها. مجرد التفكير بذراعي باربرا حول رالف كان كافياً ليثير التوتر فيها.

ـ كاتي..

واستوت بسرعة في جلستها.

ـ أنا آسفة... أعتقد أنني لا زلت أتعب بسهولة.. لم أعتد بعد على البقاء في الخارج.

ـ أنت لست تعبة.. لقد دخلت إلى هنا لأطلب منك معروفاً خاصاً.

ـ بعد كل ما فعلته لي أعتقد أنني لا أستطيع الرفض. ماذا تريد؟

وبدا على رالف الإجفال قبل أن يجيب.

ـ أريدك أن تذهبي معي إلى حفلة مساء الغد. ليست كبيرة، مجرد اجتماع مريح لبعض أصدقائي. وأظن أنك ستحبينهم. وسأكون حريصاً أن لا تتعبي نفسك.. وسيفيدك الخروج من المنزل.

وأحسّت بجرح كرامتها، وهي متأكدة أن رالف طلب من باربرا مرافقته ورفضت، فأدارت وجهها عنه وقالت:

ـ لا... شكراً.

وقفزت واقفة، متجاهلة تراقص الأضواء أمام عينيها.

ـ أنا لا اؤمن بلعب الأدوار الثانوية... وإذا كانت السيدة دانتون

ليست مهتمة بمرافقتك، فلا تتوقع أن أكون ممتنة لدعوتك لي، اذهب وجدّ لك مغفلة أخرى.

وسارع رالف إلى الوقوف، وأمسك بكتفي كاترين.

ـ المرأة الوحيدة التي طلبت منها مرافقتي إلى هذه الحفلة هي أنت... والآن إما أن تقبلي الذهاب أو لا.. الأمر سيان عندي.

ولسبب مجهول، احست كاترين أن الأمر مهم له كثيراً.

ـ أحب أن أذهب، ولكن لا أريدك أن تقلق كثيراً عليّ. عادة عندما يذهب الناس إلى حفلة يفعلون هذا لإقناع أنفسهم.

ـ إذاً، توخي الحذر غداً. سنذهب أولاً للعشاء ثم إلى الحفلة. ولكن... في اللحظة التي يبدو عليك فيها التعب، سنغادر الحفلة.. دون الاهتمام بما أشعر. هل تفهمين؟

وابتسمت كاترين ابتسامة باهتة، وقالت موافقة:

ـ حسن جداً يا رالف.

ـ لا أصدق! المرأة أخيراً توقفت عن المقاومة في الوقت اللازم. وستتحسن أكثر، كوني جاهزة عند السابعة.

ـ رالف؟

وابتلعت ريقها بصعوبة، ولكنها لم تستطع منع نفسها عن السؤال:

ـ هل ستخرج هذه الليلة مع السيدة دانتون؟

ومضت لحظات طويلة قبل أن يعود وجه رالف إلى الهدوء. وضرب طرف أنفها باصبعه مداعباً. وقال بهدوء قبل أن يغادر الغرفة:

ـ لا تدعي أحداً بعد اليوم يقول لك إنك لست من العائلة.

www.elromancia.com

١٢ ـ الأول والأخير

لم تبدو الدهشة على ماغي عندما علمت أن رالف سيأخذ كاترين إلى حفلة في الأمسية القادمة، وكانت مسرورة جداً.

وبما أن رالف طلب منها أن ترتدي ثياباً عادية، فقد اختارت بلوزة قطنية قصيرة الأكمام بلون براق وبنطلوناً. وطوت شعرها إلى جانب واحد، ووضعت إلى الجانب الآخر زهرة حريرية بيضاء. وكانت حريصة، عندما وضعت الماكياج، أن تخفي الشحوب الذي لا يزال بادياً على وجهها، والظلال الخفيفة تحت عينيها.

وكانت ابتسامة رالف الدافئة، الإطراء الكافي لها عندما هبطت الدرج. واختار رالف مطعماً هادئاً للعشاء. وكالعادة، وجدت كاترين سهولة في التحدث اليه. وتنقل بهما الحديث في مختلف الاتجاهات بسهولة. وعاد اللون الطبيعي إلى وجنتيها، والالتماع إلى عينيها.

وشعرت كاترين بالتوتر فيما بعد، وهو يقودها صاعدان درجاً الى

شقة تشع بالأنوار، ولولا ضغطه المطمئن على يدها، لاستدارت هاربة.

بيري وجولي برايس، صاحبي المنزل، كانا مسرورين جداً بلقاء كاترين كما الأزواج الباقين من المدعوين. وطوال الأمسية لم يبتعد رالف من جانب كاترين وظل قلقاً على راحتها. حتى أنها لم تدرك أنها بدأت تتعب إلا بعد أن توجه بها نحو الباب وهو يودّع الجميع وهما خارجان.

وقالت جولي بابتسامة حقيقية.

ـ عودي لزيارتنا ثانية يا كاترين. كنا نتمنى أن تبقي مدة أطول معنا، ولكن عليك الانتباه لصحتك. لا بد أنه شعور رائع لوجود من يعتني بك مثل رالف.. إنه شاب رائع.

ـ أجل..

ونظرت إلى موضوع نقاشهما، وقد وضع كأسه على الطاولة واستدار نحو الامرأتين. الابتسامة التي استقرت على وجهه وهو ينظر إلى كاترين وصلت حتى عينيه. ووضع ذراعه فوق كتفها وقال:

ـ شكراً لك على هذه الأمسية العظيمة يا جولي.

ـ أنت تعلم أننا نرحب بك دائماً.. واجلب معك كاترين ايضاً.

ـ سأفعل..

بعد دقائق من مغادرتهما وفي السيارة قالت كاترين:

ـ لقد أحببت اصدقاءك يا رالف.

كان الجو قد أصبح بارداً، فخلع سترته، ولفها بها.

ـ لا أستطيع تحمّل أن ترضي ثانية.

وضحك لها، وادركت كم من الرائع أن يرعاها.

طريقهما إلى المنزل كان قصيراً، قضياه بصمت. وترك رالف

سترته فوق كتفي كاترين وهما يسيران إلى داخل المنزل. وعند نهاية السلم أمسك ذراعها، ليوقفها. ووضع ذراعه حول خصرها وجذبها نحوه برقة، وتمتم:

ـ أنت امرأة جميلة يا كاتي. اظهري لي جمالك الداخلي، اجعليني أحسّ بدفئك.

وعانقها بقوة وحرارة. وتصلبت كاترين قليلاً في البداية، ثم استرخت بين ذراعيه. وأحست بأنها تذوب معه، تماماً كما شعرت منذ سبع سنوات. ولم ترد في تلك اللحظات أكثر من هذا منه. لا بد أنها تحبه كثيراً حتى تشعر بهذه المشاعر القوية. أم أن هذا كله وهم كما كان جدها دائماً يقول لها؟ وعاد التوتر إلى عقلها، فرفعت يديها ودفعت رالف عنها.

ـ لا... لا أستطيع!

وتنفس رالف بغضب ولكنه لم يتركها.

ـ أنا أريدك يا كاتي.. لا أستطيع التفكير الآن بأي شيء قد أحبّه أكثر من أن استيقظ في الصباح لأجدك نائمة بين ذراعي. ولكن شيئاً ما يبقيك بعيدة عني. وانا أعلم أنك ترغبين بي بنفس القدر الذي أرغبك فيه. كل هذا لن يسبب لنا سوى ألم لن نستطيع تجنبه. وأتمنى لو أنني فظ عديم الضمير بما فيه الكفاية لأحملك الآن بين ذراعيّ، وينتهي كل شيء. ولكنني لست مجنوناً إلى هذا الحد. أريدك أن تأتي إلي بمحض إرادتك.. تصبحين على خير يا كاتي.

وتوجه فوراً إلى الدرج الذي يقوده إلى الطابق الثالث.

وبينما كانت كاترين تخلع ثيابها أخذت تفكر بكلمات رالف، إنها تريده، ولكنها تريد أكثر من هذا، تريد أن يقول لها إنه يحبها.. وليس فقط إنه يريدها.

من حسن حظها أنه كان أمامها الكثير من المراسلات لتنهيها ولتبقيها مشغولة لجزء كبير من اليوم التالي. ولم تشاهد رالف إلا وقت العشاء فحيّاها وكأن شيئاً لم يجر بينهما..

وغادرت ماغي المنزل لتلعب البريدج عند بعض الأصدقاء. وبعد صمت قصير وغير مريح، توجّه رالف وكاترين إلى غرفة المطالعة. وأدارت كاترين الستيريو، واختارت محطة تذيع الموسيقى الناعمة ثم جلست على الأريكة، وتقدّم رالف نحوها وقال:

ـ هل لي شرف هذه الرقصة آنسة ويزدوم؟

صوته كان رزيناً بشكل غريب، وهزت رأسها، ثم وقفت وتركته يمسكها بين يديه. بعد هذه المدة، أصبح الشعور بجسد رالف إلى قربها أمراً مألوفاً. وبالكاد تحركا من مكانهما وهما يتمايلان على صوت الموسيقى الناعمة.

ـ لست أدري إذا كان بإمكاني تحمّل هذا أكثر. أنت تدفعيني إلى الجنون. وأنت حتى لا تعرفين كيف أشعر تجاهك.

ـ أنت لا ترغب سوى بعلاقة معي... تماماً كما كنت منذ سبع سنوات... ثم ستنساني.. كما نسيت كل النساء في حياتك. وكل ما سأكون عليه نزوة عابرة، وربما صفحة من أحد كتبك. ولكن الفارق الوحيد بيني وبين بعض النساء الأخريات هو أنني سببت لك ملاحقة طول لي.

ودفعها رالف بقسوة عنه وأدار لها ظهره، وهو يمرر أصابعه لمرتجفة بين خصلات شعره:

ـ لست أدري كيف حدث لك هذا. ولكنك خلال السبع سنوات قفلت الباب على كل مشاعرك. أنت لم تعودي تلك الفتاة التي كنت حبها عند ذلك الشاطىء... لقد أصبحت امرأة جميلة، فيها كل

المشاعر، ومع ذلك لا استطيع الوصول إليك. . أنت مجرد صَدَفة مغلقة.

ـ لقد اعتقدت يومها أنك تعبث معي، وأنك عندما تكتشف عمري الحقيقي ستقرر أنني لا استأهل المشاكل، ولذا تألمت، وكل ما فكرت به أن أخفي ألمي عن الدنيا كلها.

ـ أنا أحبك يا كاتي، ولكن لا يبدو أنك تبادليني هذا الحب، أو لا تعرفين كيف تبادليني إياه. . لذا فسأغادر هذا المكان. لا اعلم، ربما مع الوقت قد تتغير مشاعرك نحوي. . ولكنني لا أستطيع انتظار هذا، لأنها لو لم تتغير، فلا أنوي أن أكون هنا لكي لا أُصاب بالإحراج. . . كلينا. . وأشعر أنني لن أتحمل هذا الانتظار. أعلم أنك قد تتجاوبين معي، ولكنني أريد أكثر، منك. أريدك كلك ودفعة واحدة، جسدياً وعاطفياً. أريد أطفالاً، حياة لنا معاً، منزل، كل الأشياء، وأخشى أن تكوني غير مستعدة لكل هذا. . لذا سأسافر في الصباح. . . وداعاً يا كاتي.

وغادر الغرفة مسرعاً.

وبقيت لوحدها، وغرقت في أقرب كرسي منها. . كيف تستطيع وصف مشاعرها نحوه في وقت هي لا تفهمها؟ ولم تدر كم مضى عليها من وقت وهي جالسة هناك، غارقة في أفكارها. وشعرت بالتعب، فوقفت ثم مشت متثاقلة إلى غرفتها.

حركات كاترين كانت بشكل آلي وهي تخلع ملابسها، وترتدي غلالة نوم قطنية رقيقة. ومشّطت شعرها وتركته ينسدل كالحرير على كتفيها. وحدّقت بطيفها في المرآة، وعاد فكرها إلى الكلمات التي قالها رالف مرة:

«سأكون الرجل الوحيد في حياتك» وترددت صدى كلماته في

رأسها. إنه على حق، وهمست لنفسها «أنا أحبه. . أنا فعلاً أحب رالف. . .» وأضاء وجهها وهي تردد الكلمات لنفسها. الحب الذي شعرت به طوال هذه المدة له يزهر الآن ليصبح شعوراً دافئاً غمر جسدها كله.

ـ أوه رالف!

ووقعت فرشاتها على الطاولة وهي تركض خارجة من الغرفة، حتى أنها لم تضع عليها الروب. وصعدت الدرج طائرة لتطرق باب غرفته:

ـ رالف. . أوه رالف. . . أرجوك دعني أدخل.

وفُتح الباب تحت ضغط يديها، وحدّقت في الغرفة الصامتة، ودخلت مترددة وهي تتطلع في الظلام.

ـ رالف؟

صوتها المرتجف أصبح متردداً. . ما من رد. . . وأعطتها الغرفة شعوراً بالفراغ، ثم عرفت: لقد ذهب رالف.

وفي الوقت الذي تعودّت عيناها الظلمة، وجدت كرسياً فجلست عليه وقد كورت نفسها، غارقة في بؤسها، وبدأت الدموع تتدفق ببطء على وجهها. لقد أطالت الانتظار. واكتشفت أخيراً كم كانت تحب رالف بعمق، وها قد فات الأوان لتقول له ذلك. على الأرجح إنه قرر أن يغادر المنزل فوراً بدل الانتظار إلى الصباح. وهي لا تعلم أين ذهب. ودفنت وجهها بين يديها وهي لا تزال تنتحب.

ـ ماذا هناك. . .

ونظرت الى الأعلى لتجد رالف مرتدياً روباً قصيراً، وساقاه عاريتان، يقف عند الباب وهو يمسك بكأس شراب في يده.

ـ أنا. . . أنا. . لقد اعتقدت أنك ذهبت.

وبدا صوتها ضائعاً ويائساً.

في الضوء الخافت كان صعباً عليها أن ترى التغيير في تعبيرات وجه رالف.

ـ لم أستطع أن أنام، فخرجت لأحضر كوب شراب من الطابق السفلي.. هل أردتي رؤيتي لشيء ما؟

ـ أنا...

وشعرت باختناق في حنجرتها، فمدّت يدها برجاء صامت كي يفهم.

ـ ما الأمر يا كاتي؟

وراقبها من خلال عينين ضيقتين، هذا شيء يجب أن تفعله بنفسها، دون مساعدته. وشعرت كاترين بأن عينيها قد امتلأتا بالمزيد من الدموع الحارة. وحاولت قدر طاقتها، ولكن الكلمات رفضت أن تخرج منها. ما الفائدة؟ وما يدريها إن رالف لا يزال يريدها؟ وتكورت كتفاها وهي تخرج من الكرسي واستدارت، تهز رأسها وهي تسير نحو الباب.

ـ أنا آسفة.. لقد أزعجتك... تمتع برحلتك.

وقبل أن تخطو خطوة واحدة، أمسك بذراعيها، ووجدت نفسها في عناق قوي بين ذراعيه. وتمتم رالف بزفرة قوية دافئاً وجهه في شعرها:

ـ أوه يا كاتي... ماذا سأفعل بك؟

وهزت رأسها بصمت والدموع مستمرة في التدفق على خديها. وشعرت ببرودة الهواء. وأخذ رالف يفرك يده على ظهرها.

ـ أنت بردانة. كان يجب أن ترتدي الروب. يا إلهي يا كاتي.. أنت لا ترتدين شيئاً!

وقبل أن تجيب رفعها بين ذراعيه وحملها إلى داخل غرفته، حيث وضعها على السرير، وبعد أن وضعها داخل الأغطية الدافئة، جلس

أمامها، مبقياً يديها الباردتين ما بين يديه الدافئتين.

ـ ماذا تحاولين أن تقولي لي يا كاترين؟

ـ ربما سيكون من الأسهل أن أشرح لك شيئاً. عندما قتل والداي، شعر والد أمي أن من واجبه تربيتي بشكل لائق. والدي كان يتيماً، لذا لم يكن هناك من قد يحتجّ، وجدتي كانت قد توفيت عندما ولدت أمي، لذا لم يكن هناك من يعلّمه الرقة معي. ونظر جدي إلى تربيتي كواجب أكثر منه سعادة لوجود كيان من ابنته معه. أطعمني.. وألبسني ما هو لائق. وعلّمني تعليماً جيداً، ولكن عندما كنت أنجح في المدرسة لم أكن أتلقى المكافأة المناسبة. كل ما كان يقوله ان عليّ أن أعمل بجهد أكثر. وعندما كبرت قال لي بكل برود ان علي أن أحذر، لأنني جميلة جداً، وقد يحاول الشبان استغلالي لإرضاء رغباتهم.

واشتدت قبضة رالف على يديها وهو يتنفس بصعوبة بينما تابعت كاترين كلامها:

ـ وبعد أن تركتني، ظلّ يتهمني بأنني استسلمت لك. وأصرّ على أن لا تتاح لي فرصة أخرى حتى أقترب من أي رجل.

وتلاشى صوتها.. هل سيتمكن رالف أن يفهم لماذا كان من الصعب عليها أن تطلق عواطفها بعد كل الذي حدث لها؟

ـ مات جدي منذ حوالي السنة، وأصبحت وحيدة، وليس لديّ أدنى فكرة عما يجب أن أفعله في حياتي. وبعد سماعها بوفاته، اتصلت بي بيتي، قائلة إنها سمعت عن وظيفة خالية عند صديقة لأمها. وهكذا عملت مع ماغي. وللمرة الأولى أظهر لي إنسان الدفء والحب.

وتهدج صوتها.. ولم تستطع أن تكمل.

وأبعدت يده الحنونة شعرها عن وجهها، ثم أمسك برقبتها.

ـ هل تشعرين بشيء تجاهي يا كاتي؟ لقد كنت تشعرين منذ سبع سنوات ولا تستطيعين الإنكار.. ولكن هل تشعرين بشيء الآن؟

ـ عندما تعانقني.. أنا.. أنا.

ـ أنت ماذا؟

ـ لا أعود أرغب في أن تتوقف، وأرغب في المزيد... لقد اكتشفت متأخرة جداً كم أحبك حقاً يا رالف.

ـ وهل تنظرين إلى حبي لك كشيء شائن؟ سأكون صريحاً معك يا كاتي... لا أستطيع البقاء معك دون الرغبة فيك.. هناك الكثير مما لا تتصورين حول الحب. وأريد أن أظهره لك.

وابتسمت كاترين، ومالت إلى الأمام، وطوقت رقبة رالف بذراعيها.

ـ معك... كل شيء جميل وصحيح... قلت لي مرة إنك ستكون الرجل الوحيد في حياتي... وكنت أتمنى لو أنني صدقتك قبل الآن، لكنت وفرّت على كلينا وجع القلب.

وضمها إلى صدره أكثر فأكثر بكتفيه العاريتين.

ـ كاتي... لا تغريني أكثر مما فعلت... سننتظر إلى موعد شهر العسل، عندما يكون كل الوقت في العالم لنا. ولا أريد أن أسمع مواعظ ماغي لأنني أغويت سكرتيرتها.

وضحكت كاترين:

ـ في الواقع سكرتيرتها من تغوي ابن أخيها.

وللمرة الأولى شعرت أنها حرة بإطلاق العنان لمشاعرها تجاه الرجل الذي جعلها تشعر بأنها امرأة كاملة.

ـ لم اكن أحلم بأنك ستتزوجني، لقد اعتقدت أنك ترغب في

علاقة عابرة فقط.

ـ علاقة عابرة لن تكون كافية لي. أظن أنني وقعت في حبك ليلة حفلة الرقص.

ـ ثم عدت للظهور في حياتي بعد سبع سنوات في نفس الحفلة.. أنا لا أصدّق أن القدر في صفنا.

ـ لديّ اعتراف يا حلوتي.. لقد كنت أعلم أنك هناك قبل أن اذهب إلى الحفلة.

ـ كنت تعلم؟ وكيف؟ آه... ماغي..

ـ ماغي مدبرة الزيجات.. أترين، لقد قلت لماغي منذ سبع سنوات إنني أحببت جميلة ثائرة الجمال ذات شعر أسود، سبّبت لي عدم النوم ليلاً.

ـ وهل سبّبت لك هذا فعلاً؟

ـ اصمتي ودعيني أكمل. أين كنت؟... أوه أجل.. مع ماغي.. لقد أخبرتها كل شيء عنك.

ـ أتعني أنها كانت تعرف كل شيء عني حتى قبل أن توظفني؟

ـ من المؤكد أنها كانت تعرف... وكيف تظنين أنك حصلتي على هذه الوظيفة؟

ـ من خلال والدة بيتي...

ـ ووالدة بيتي صديقة مقربة من ماغي...

ـ وانت كنت تعرف هذا طوال الوقت... أليس كذلك؟

ـ طبعاً... وكيف كان يمكن أن أبقيك تحت المراقبة طوال تلك السنوات؟

ـ مراقبة؟

ـ أنا لم أنسك، على الرغم من عدم تلقي الرد على رسائلي. ثم

www.elromancia.com

منذ حوالي ثلاث سنوات التقيت ببيتي وزوجها في لندن، ووجدت نفسي أسأل عنك مع أنني حاولت أن لا أفعل. وذكرت لي كم أصبحت متقوقعة.

واكملت كاترين عنه بنعومة:

- ثم عندما مات جدي، وكانت ماغي تبحث عن سكرتيرة، اتصلت بي بيتي بخصوص الوظيفة... وأجبرتني في الواقع على أخذها.

- لا بد أنها كانت تعرف بأنني سآتي إلى هنا عاجلاً ام آجلاً. وخاصة بعد أن كتبت لي ماغي حول سكرتيرتها الجديدة كاترين. وكانت تعلم أن هذا سيجذبني إلى هنا.

- رؤيتي لك يومها كانت صدمة. ومهما حاولت جاهدة لم أكن قد نسيتك. لم يؤثر عليّ رجل مثلما أثرّت عليّ. ولم أكن أنوي أن أسمح لأي رجل أن يقترب مني.

- هذا جيد... ومن الأفضل أن تبقي هكذا، لقد كنت أنوي أن أطلب منك السفر إلى المانيا قبل أن يظهر جدك ويتّهمني بإغواء قاصر.

- ولكن ليس كرجل وزوجته؟

- لا... ليس كرجل وزوجته. لقد كنت أفكر بك كثيراً ولكنني لم أكن واثق من أنني أرغب بك لما تبقى من حياتي. وقد أدركت، خلال الأشهر الماضية كم فعلاً أنت تعنين لي.. ولا أستطيع أن أتخلى عنك الآن.

وتنهدت كاترين عندما جذبها إليه، وأعطته نفسها ليضمها بين ذراعيه وبتنهيدة على مضض تركها من بين ذراعيه ونهض ليسير في الظلام ونظرت وراءه بقلق، خائفة من أن يتركها.

- رالف، إلى أين أنت ذاهب.

- لن أذهب بعيداً. لم أستطع أن آمرك بالعودة إلى غرفتك، لذا سأبتعد إلى أن يجعل الكاهن ما بيننا شرعياً.

- رالف؟ هل كنت تحب باربرا دانتون؟

وسمعت ضحكته ترن في أذنها.

- لا يا حبيبتي لم أكن أحبها.. في الصباح سنخبر ماغي أن تخطط للزواج عن قريب، لست أنوي الانتظار لوقت طويل...

واستلقت كاترين دون حراك.. غير مصدقة حظها الجيد هذا. وهمست وهي تخشى أن تظهر في صوتها المخاوف.

- رالف... لا يمكن لي أن أتغير بين ليلة وضحاها... ماذا لو... لو...

- من دون... لو... لأنني سأكون بقربك، أحبك في كل خطوة على طريقنا. ولكن اظهري لي المثابرة كما أظهرتيها خلال الأشهر الماضية.

- مثابرة؟

- المثابرة بإبقائي بعيداً... أوه يا كاترين.. كم أريدك. ولكن ليس هكذا.

ووقف قربها ونظر إلى ملامحها التي جعلها الحب أكثر جاذبية.

- سوف نفعل هذا بشكل لائق وصحيح.

- ماذا تعني؟

ومدّ يده ليحملها ويخرج بها نازلاً الدرج إلى غرفة نومها، ووضعها في سريرها ثم غطاها جيداً.

- الأفضل أن تستيقظي باكراً لأن أمامك خطط كثيرة لترسميها، ولكي نفعل هذا بشكل لائق وصحيح، يعني أن نعدّ العدة لزفاف مميز.

وابتسمت كاترين ومدّت يديها تلفهما على رقبته.

ـ أحبك يا رالف كوينتين.

وعندما تركته قال لاهثاً:

ـ ارتدي ملابسك فوراً... سأوقظ ماغي لأبلغها الخبر. أمامك خمسة عشر دقيقة فقط، ولو أن أحداً يعرف أين يمكننا عقد القران فوراً فهي التي تعرف. أظن أن فترة خطوبتنا قد طالت.

وسار نحو الباب، ثم استدار لينظر إليها نظرة ألهبت مشاعرها.

ـ أنا أحبك يا كاترين ويزدوم، والتي قريباً ستصبح كوينتين. والآن، تحركي... فأنا أنوي أن أتزوج قبل طلوع الفجر. حتى ولو اضطررت للطيران إلى لاس فيغاس!

بعد أن غادر رالف الغرفة، قفزت من سريرها، وركضت إلى الخزانة، وحاولت أن تقرر ماذا ترتدي لزفافها.. فهذه بداية حياة جديدة لها، حياة سوف تثبت أنها ستكون أكثر مما يمكن لها أن تحلم، حياة مع الرجل الذي أحبها وبادلته الحب بنفس القوة.

وهل ترغب الامرأة بأكثر من هذا؟

النهاية